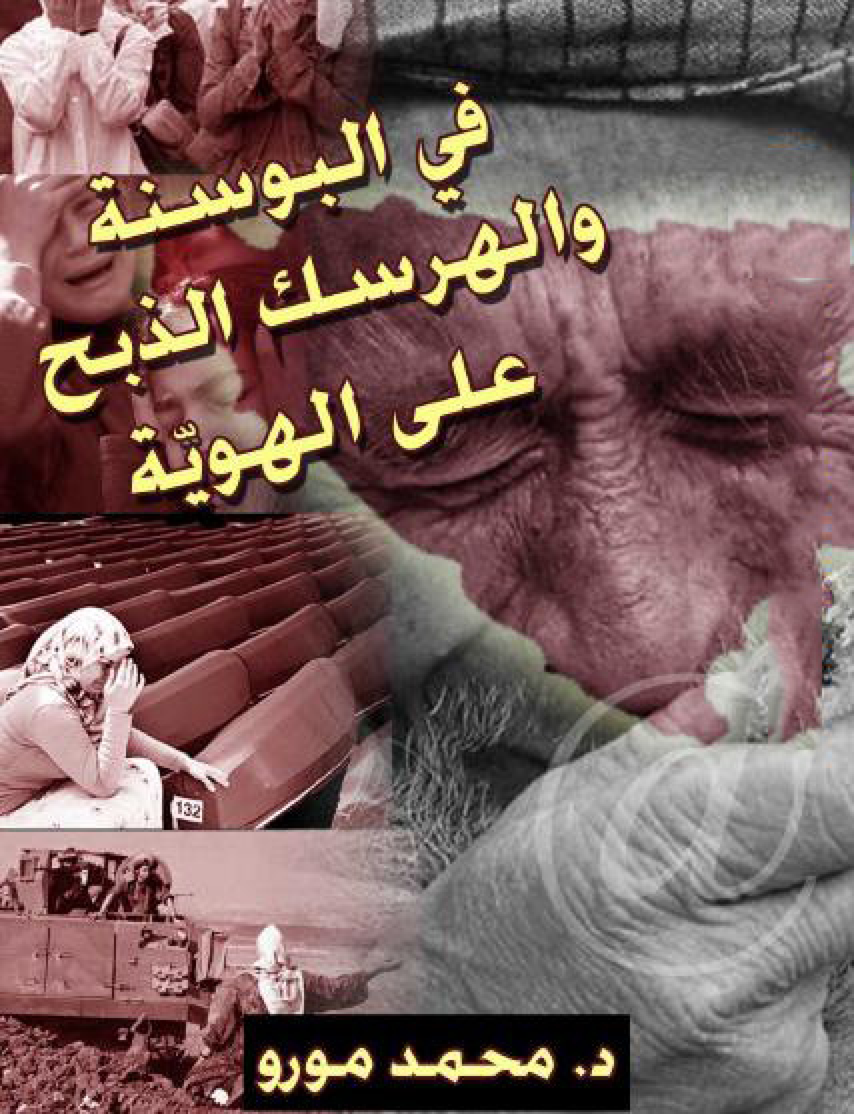

في البوسنة
والهرسك الذبح
على الهويّة
د. محمد مورو
132



فِي البُوسْنَةَ والهَرْسَك

الذَّبْح عَلَى الهُوِيَّة

- محاولة لاستئصال الإسلام من أوربا
- الجريمة وأصابع الاتهام.

د. محمد مورو



الأزهر
الشريف
أزهري
مكتبة المنارة الأزهرية

فهرس



الأزهر
الشريف
مكتبة المنارة الأزهرية
الأزهر الشريف
جبهة علماء الأزهر

مُقدِّمة

يخطئ من يتصور أن الصراع في البوسنة والهرسك مجرد صراع قومي بسيط بين المسلمين والكروات والصرب، أو حتى صراع ديني بين المسلمين والكاثوليك "الكروات" والأرثوذكس "الصرب" أي مجرد صراع ديني محدود أو مذهبي أو طائفي عادي، ولكن الحقيقة أن الصراع في البوسنة والهرسك هو صراع حضاري يضرب بجذوره في التاريخ والجغرافيا، ويمثل جدل الصراع التاريخي بين الحق والباطل، الحق الذي يمثله الإسلام، والباطل الذي تمثله قوى الشيطان التي تعتبر الحضارة الغربية أهم عناصرها.

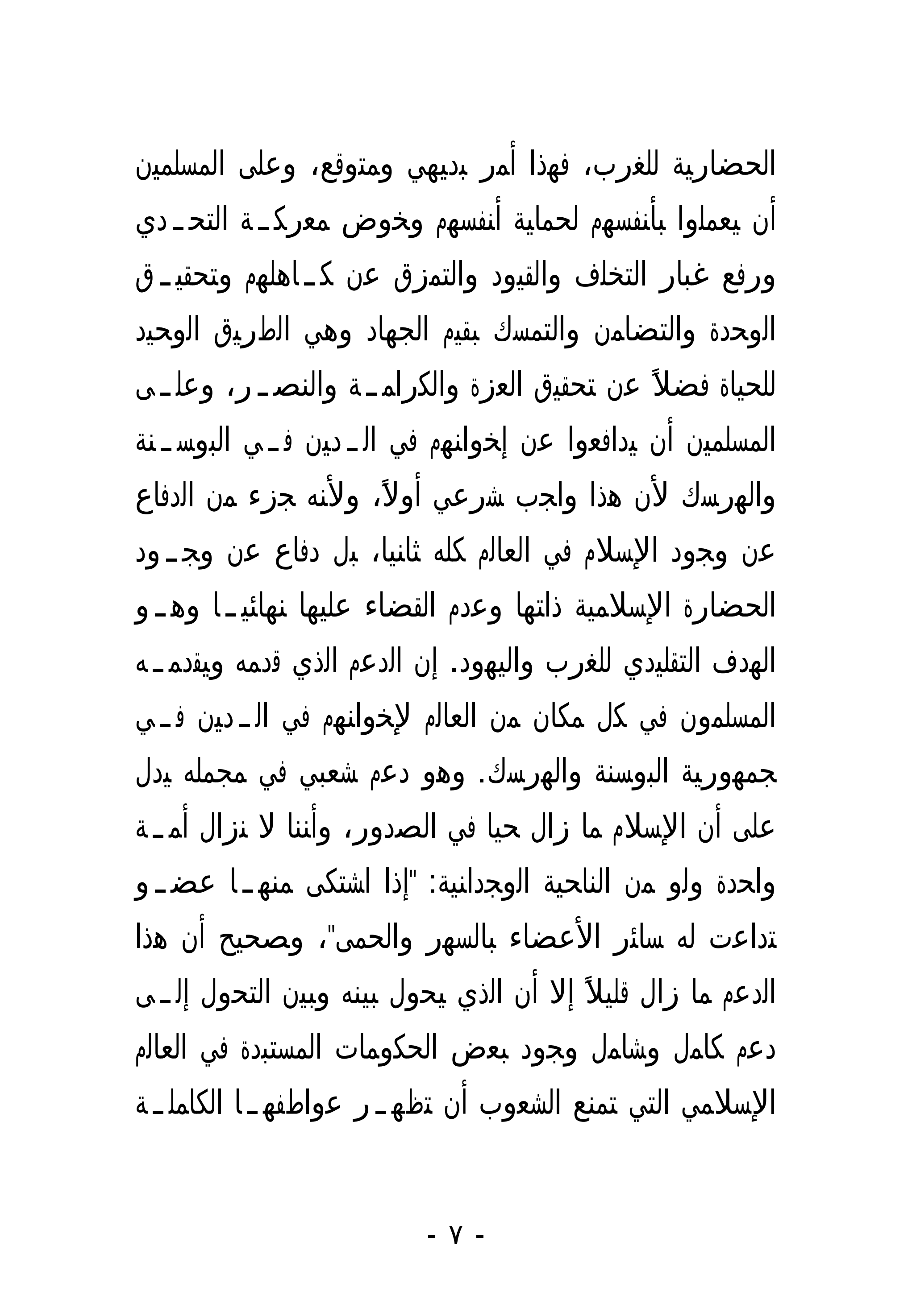
ويأخذ ذلك الصراع أبعادا حادة، داخل أوروبا ذاتها، ذلك أن الحضارة الأوروبية باعتبارها حضارة شيطانية تريد أن تستأصل الحضارة الإسلامية وهي حضارة الحق والعدل والحرية، فما بالك إذا كان التحدث الحضاري الإسلامي يقع في أوروبا ذاتها مثل حالة البوسنة والهرسك وكوسوفو وألبانيا والأقليات الإسلامية عموما في أوروبا الشرقية.. ويمكننا أن ندرك مدى العصبية التي تتعامل بها الحضارة الأوروبية مع المسلمين في أوروبا، وخاصة إذا كانوا في

تجمعات ذات ثقل مثل البوسنة والهرسك، لأن هؤلاء، وبرغم منحنى الهبوط الإسلامي حاليا، يمثلون خميرة إسلامية تمـل القيم والإسلامية العظيمة مثل اللاعنصرية والعـدل وعـدم ازدواج المعايير والحق والحرية.. وهي قـيم قـادرة علـى هزيمة النموذج الحضاري الغربي إذا ما قدر لها أن تـدخل معه في معركة ثقافية حرة ونزيهة، وبالتـالي فلابـد مـن القضاء بالقوة والقهر والذبح والتشريد على هـؤلاء الـذين يحملون تلك القيم وخاصة من يسكن منهم في أوربا، وهـذه في حقيقة الأمر مأساة البوسنة والهرسك والتفسير الصـحيح لشلال الدم الذي يفجره الصرب على حساب المسلمين فـي البوسنة والهرسك، أي أن الصرب هنا مجرد أداة للحضـارة الغربية عموما.

وصحيح أن هناك تناقضات ثانوية بين قـوى الحضـارة الغربية عموما على اعتبار أن بأس الكافرين بيـنهم شـديد، ولكن هذه التناقضات الثانوية تتلاشى وتذوب أمام التنـاقض الجوهري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية بين ما هو إلهي وما هو شيطاني ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخـذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض**﴾.

ولعل ما يؤكد هذه الحقيقـة أن إسـرائيل تقـدم الـدعم العسكري والإعلامي للصرب، في حين يقف الغرب متفرجا على المذابح وهو الذي يزعم أنه ينصر الأقليـات بـل هـو مستعد لجمع الجيوش وإلقاء أطنان القنابل في حالات أخرى، أما في حالة مسلمي البوسنة والهرسك الذين تعرضوا للإبادة والتشريد والذبح ووفقًا لتقسيم الأدوار، فإن الصرب يقومون بمهمة الذبح والإبادة، وإسرائيل تقـدم السـلاح، والغـرب وأمريكـا يكتفيـان بالبيانـات والقـرارات التـي لا تنفـذ أو بالحركات المسرحية مثل زيارة ميتران إلـى سـراييفو، أو قيام بطرس غالي "وهو أرثوذكسي مصري للأسف" بمنع أي تحرك دولي إيجابي بدعوى أن القاتل "الصرب" والقتيـل مسلمي البوسنة والهرسك مخطآن، وأن الوقت لم يحن بعـد للتدخل لإنقاذ شعب من الإبادة! وغيرها مـن التصـريحات الاستفزازية التي يقولها بطرس غالي من وقت لآخر.

وإذا كان هذا هو سلوك الغرب، وهذا هو حال التحـالف اليهودي الغربي ضد الإسلام، وهو الأمر الذي يكشف حقيقة العداء الغربي للإسلام، وحقيقة التحالف العنصري بين اليهود والغرب، وحقيقة ازدواج المعايير الغربية وانحطـاط القـيم



الحضارية للغرب، فهذا أمر بديهي ومتوقع، وعلى المسلمين أن يعملوا بأنفسهم لحماية أنفسهم وخوض معركة التحدي ورفع غبار التخلف والقيود والتمزق عن كاهلهم وتحقيق الوحدة والتضامن والتمسك بقيم الجهاد وهي الطريق الوحيد للحياة فضلاً عن تحقيق العزة والكرامة والنصر، وعلى المسلمين أن يدافعوا عن إخوانهم في الدين في البوسنة والهرسك لأن هذا واجب شرعي أولاً، ولأنه جزء من الدفاع عن وجود الإسلام في العالم كله ثانيا، بل دفاع عن وجود الحضارة الإسلامية ذاتها وعدم القضاء عليها نهائيا وهو الهدف التقليدي للغرب واليهود. إن الدعم الذي قدمه ويقدمه المسلمون في كل مكان من العالم لإخوانهم في الدين في جمهورية البوسنة والهرسك. وهو دعم شعبي في مجمله يدل على أن الإسلام ما زال حيا في الصدور، وأننا لا نزال أمة واحدة ولو من الناحية الوجدانية: "إذا اشتكى منها عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى"، وصحيح أن هذا الدعم ما زال قليلاً إلا أن الذي يحول بينه وبين التحول إلى دعم كامل وشامل وجود بعض الحكومات المستبدة في العالم الإسلامي التي تمنع الشعوب أن تظهر عواطفها الكاملة

وتضع قيودا قانونية أو عملية على مسـألة التضـامن بـين الشعوب الإسلامية.

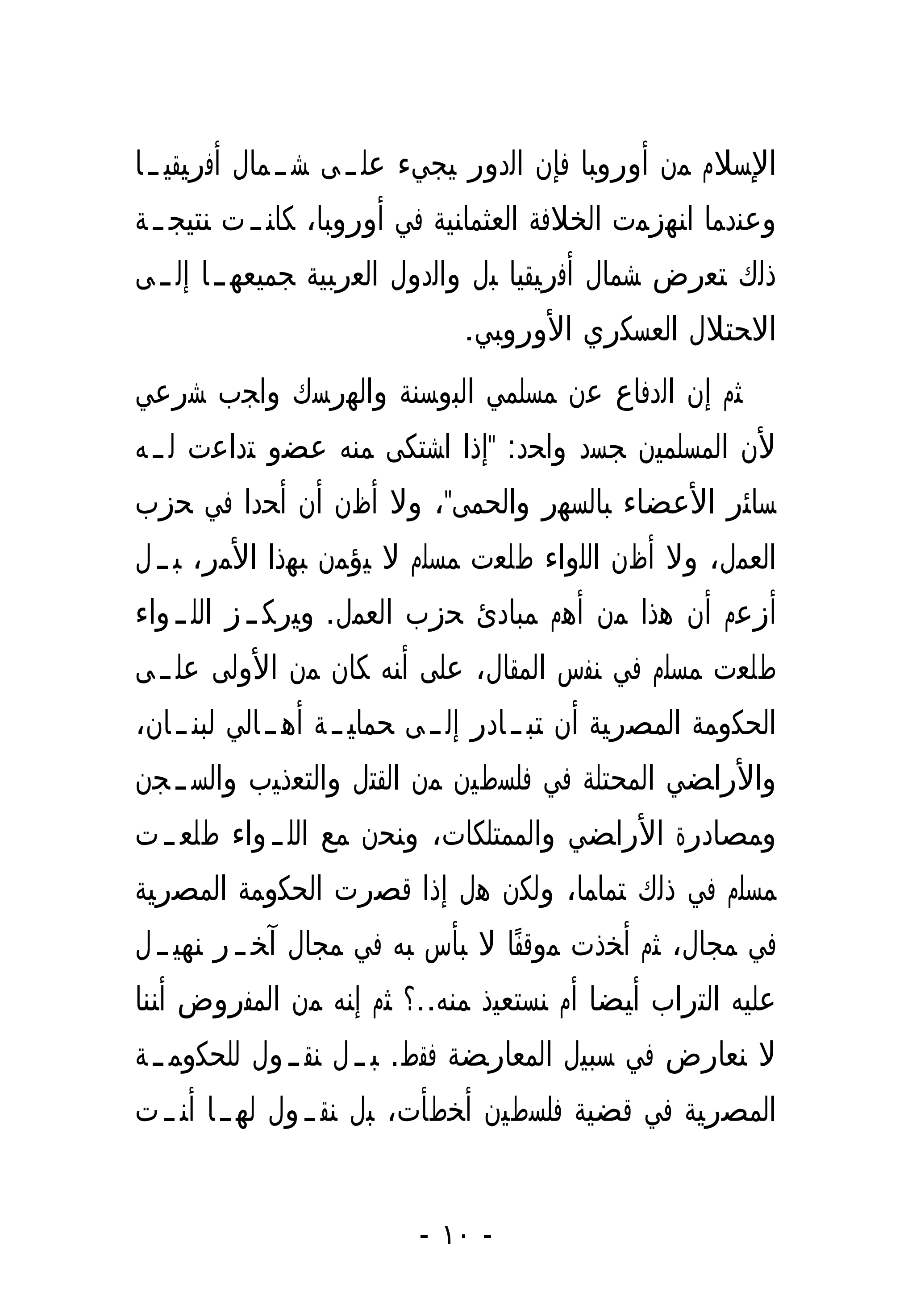
* * * *

وفي إطار ما يحدث في البوسنة والهرسك اليوم وما حدث للمسلمين في بلغاريا بالأمس القريب، فإن هناك أهمية خاصة لفهم ما حدث في الأندلس حتى لا تتكرر المأساة لأن الدوافع الأوروبية في الحالتين متشابهة، وكذلك هناك أهمية خاصـة لفهم فضل الدولة العثمانية على المسلمين وخوضها الصراع المرير في أوروبا دفاعا عن الإسلام.

* * * *

وإذا كان دفاع المسلمين عموما، والعرب والمصريون ـ بل وكل الشرفاء في العالم عن أهل البوسـنة والهرسـك ـ واجبا شرعيا وحضاريا بل ودفاعـا عـن الأمـن القـومي الإسلامي بل والعربي والمصري، لأن ما يحدث في البوسنة والهرسك هو جزء من التحدي الصليبي والغربي ضد الأمـة الإسلامية، وإذا نجح الغرب في استئصـال الإسـلام مـن أوروبا، فإن الدور سيأتي على بـاقي المسـلمين، وبالتـالي فالدفاع عن أهل البوسنة والهرسك هو دفـاع عـن الأمـن

القومي المصري والعربي والإسـلام عمومـا، وإذا كانـت جماهير الشـعب المصـري، والنقابـات، والأحـزاب بـل والحكومة المصرية قد اتخذت موقفًا جيدا في قضية البوسنة والهرسك مع اختلاف الدوافع، إلا أن هذا شيئًا طيبا ينبغـي الاعتراف به وتدعيمه وتوسيعه، ولكـن مـن العجيـب أن البعض في حزب العمل، وبرغم المواقف العظيمـة لحـزب العمل عموما، يقف موقفًا مترددا في هذا الأمر مثل اللـواء طلعت مسلم في مقاله بجريدة الشعب عـدد ٢١/ ٧/ ١٩٩٢ تحت عنوان "سلام البوسنة والأمن القومي المصري" وهـو المقال الذي جاء غير موفق ويشتمل على الكثير من المعاني الخاطئة، فاللواء طلعت مسلم يقول: إن الاهتمـام بالبوسـنة والهرسك لا يدخل في صميم الأمن القومي المصري جـزء من الأمن القومي العربي والإسلامي، أي جزء مـن عمليـة الصراع الحضاري بين الإسلام والصليبية، بـين الحضـارة الإسلامية والحضارة الغربية، وكل ما يمس الأمن القـومي الإسلامي يمس بالضرورة الأمن القومي المصـري بـل إن الدفاع عن البوسنة والهرسك هو في حقيقته حمايـة لمصـر والعرب والمسلمين، لأنه إذا نجح الغـرب فـي استئصـال



الإسلام من أوروبا فإن الدور يجيء على شمال أفريقيا وعندما انهزمت الخلافة العثمانية في أوروبا، كانت نتيجة ذلك تعرض شمال أفريقيا بل والدول العربية جميعها إلى الاحتلال العسكري الأوروبي.

ثم إن الدفاع عن مسلمي البوسنة والهرسك واجب شرعي لأن المسلمين جسد واحد: "إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى"، ولا أظن أن أحدا في حزب العمل، ولا أظن اللواء طلعت مسلم لا يؤمن بهذا الأمر، بل أزعم أن هذا من أهم مبادئ حزب العمل. ويركز اللواء طلعت مسلم في نفس المقال، على أنه كان من الأولى على الحكومة المصرية أن تبادر إلى حماية أهالي لبنان، والأراضي المحتلة في فلسطين من القتل والتعذيب والسجن ومصادرة الأراضي والممتلكات، ونحن مع اللواء طلعت مسلم في ذلك تماما، ولكن هل إذا قصرت الحكومة المصرية في مجال، ثم أخذت موقفًا لا بأس به في مجال آخر نهيل عليه التراب أيضا أم نستعيذ منه..؟ ثم إنه من المفروض أننا لا نعارض في سبيل المعارضة فقط. بل نقول للحكومة المصرية في قضية فلسطين أخطأت، بل نقول لها أنت

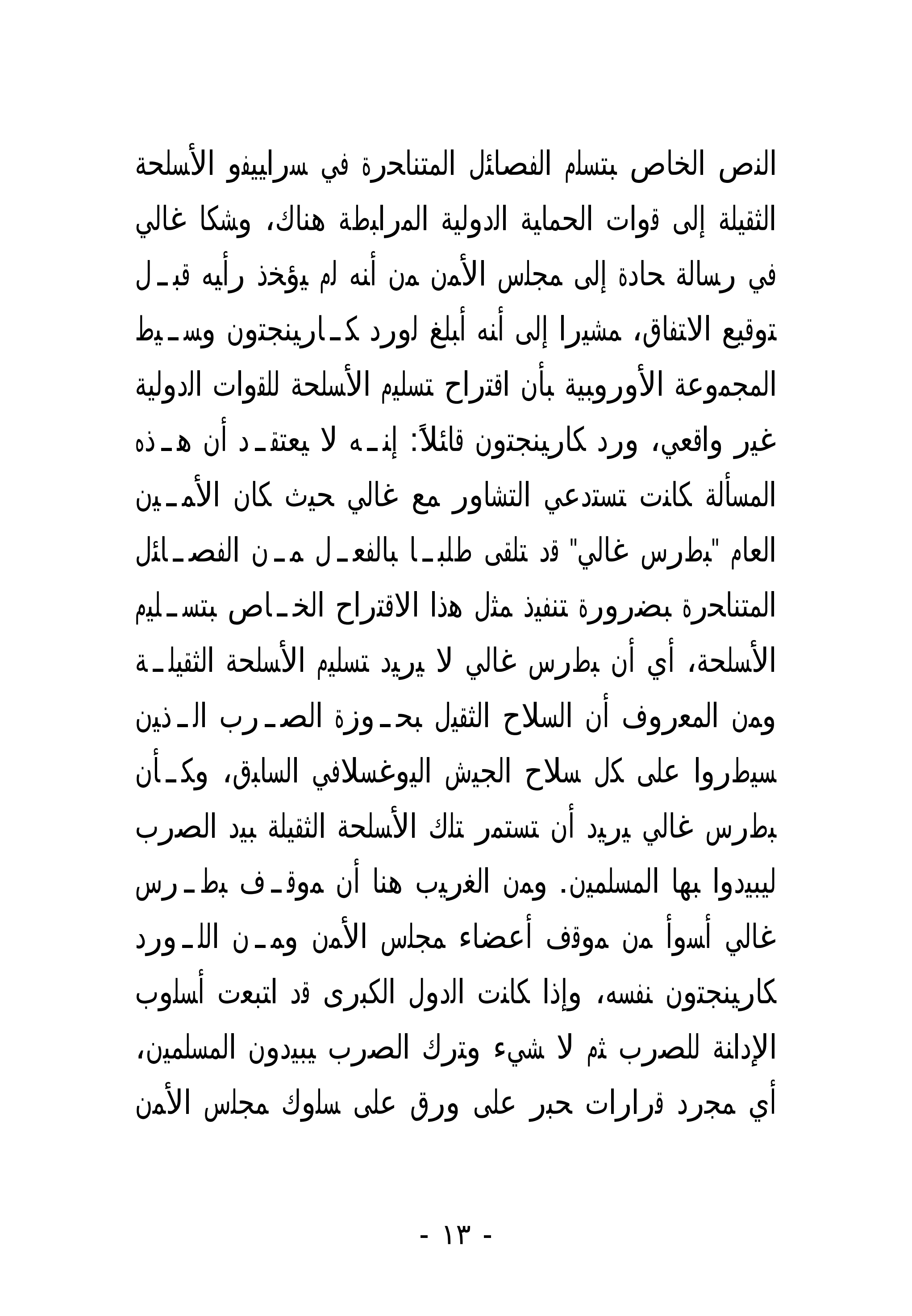
عاجزة ونقول لها في موقفها من البوسـنة والهرسـك هـذا موقف صحيح لكنه أقل من المطلوب.

وفي إطار المواقف المصـرية، فـإن موقـف الكنيسـة المصرية، وهي جزء لا يتجزأ مـن الانتمـاء الحضـاري الإسلامي، بدا في أول الأمر غريبا وساكتًا بما يـوحي أنـه يبارك إبادة المسلمين في البوسنة والهرسك ثم تعـدل هـذا الموقف نتيجة وجود ضغط عام قوي، وأخيرا أصدر البابـا شنودة الثالث بطريرك الكنيسة المصرية بيانًا أدان فيه مذابح الصرب تجاه المسلمين وتبرأ من عمل الكنيسة الأرثوذكسية في يوغسلافيا، وبذلك أعاد الأمور إلى مجراهـا الطبيعـي ووقف الموقف الذي تمليه عليه انتماءاته الوطنيـة وتـراث كنيسته القبطية التي ترفض الاندماج في كنـائس الغـرب، وتعلن انتماءها إلى المشروع الحضاري الإسلامي.

إلا أن أغرب المواقف وأكثرها اسـتفزازا كـان موقـف الدكتور بطرس غالي، وهو مصري قبطي أساسا، وصـحيح أنه سكرتير عام الأمم المتحدة بما يفرضه عليه المنصب من شروط، إلا أنه خان شروط الأمم المتحدة ذاتها وبدا موقفـه أسوأ من مواقف مجلس الأمن والدول الكبرى بخصوص هذه

القضية، بل نراه يعطل عمل القوات الدولية في إغاثة أهـالي سراييفو، بل ويعلن مرارا وتكرارا أن على الأمـم المتحـدة ألا تتدخل في هذه القضية ولا يكترث بذبح ٦٠ ألف مواطن بوسني وتشريد مئات الآلاف وتدمير المسـاكن ومصـادرة ممتلكات المسلمين لصالح الصرب، بل أكثر من هذا يـدعي أن الجميع مخطئون في قضية البوسنة والهرسك بـرغم أن هناك رأي عام عالمي لم يستطع أن يبتلع جرائم الصرب في البوسنة والهرسك، أي أن بطرس غالي يساوي بـين القاتـل والقتيل، بين من يذبح ومن يذبح "الأولى بفتح الباء والثانيـة بضم الباء"، ووصل الأمر إلى حد الثورة على أعضاء مجلس الأمن إذا ما اتخذوا موقفًا ضد الصرب.

وقد نقلت الأهرام في عدد ٢١/ ٧/ ١٩٩٢ نصا في غاية الخطورة حول المواقف المشـينة لبطـرس غـالي. تقـول الأهرام: "ثار خلاف حاد - نادر الحدوث - بـين بطـرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة من جانب، ومجلس الأمـن الدولي والمجموعة الأوربية من جانب آخر حول نصـوص وقف إطلاق النار الأخير في البوسنة والهرسك، فقـد وجـه بطرس غالي انتقادات حادة لمجلس الأمـن بسـبب إقـراره



النص الخاص بتسلم الفصائل المتناحرة في سراييفو الأسلحة الثقيلة إلى قوات الحماية الدولية المرابطة هناك، وشكا غالي في رسالة حادة إلى مجلس الأمن من أنه لم يؤخذ رأيه قبـل توقيع الاتفاق، مشيرا إلى أنه أبلغ لورد كـارينجتون وسـيط المجموعة الأوروبية بأن اقتراح تسليم الأسلحة للقوات الدولية غير واقعي، ورد كارينجتون قائلاً: إنـه لا يعتقـد أن هـذه المسألة كانت تستدعي التشاور مع غالي حيث كان الأمـين العام "بطرس غالي" قد تلقى طلبـا بالفعـل مـن الفصـائل المتناحرة بضرورة تنفيذ مثل هذا الاقتراح الخـاص بتسـليم الأسلحة، أي أن بطرس غالي لا يريد تسليم الأسلحة الثقيلـة ومن المعروف أن السلاح الثقيل بحـوزة الصـرب الـذين سيطروا على كل سلاح الجيش اليوغسلافي السابق، وكـأن بطرس غالي يريد أن تستمر تلك الأسلحة الثقيلة بيد الصرب ليبيدوا بها المسلمين. ومن الغريب هنا أن موقـف بطـرس غالي أسوأ من موقف أعضاء مجلس الأمن ومـن اللـورد كارينجتون نفسه، وإذا كانت الدول الكبرى قد اتبعت أسلوب الإدانة للصرب ثم لا شيء وترك الصرب يبيدون المسلمين، أي مجرد قرارات حبر على ورق على سلوك مجلس الأمن

والدول الكبرى في أزمـات سـابقة تحركـت فيهـا آلاف الطائرات والصواريخ وقطع الأسطول، إلا أن مجرد الإدانة للصرب لا يعجب بطرس غالي وتجعله يثور علـى مجلـس الأمن، فهل يريد بطرس غالي أن يبارك ذبح المسلمين فـي البوسنة والهرسك؟!

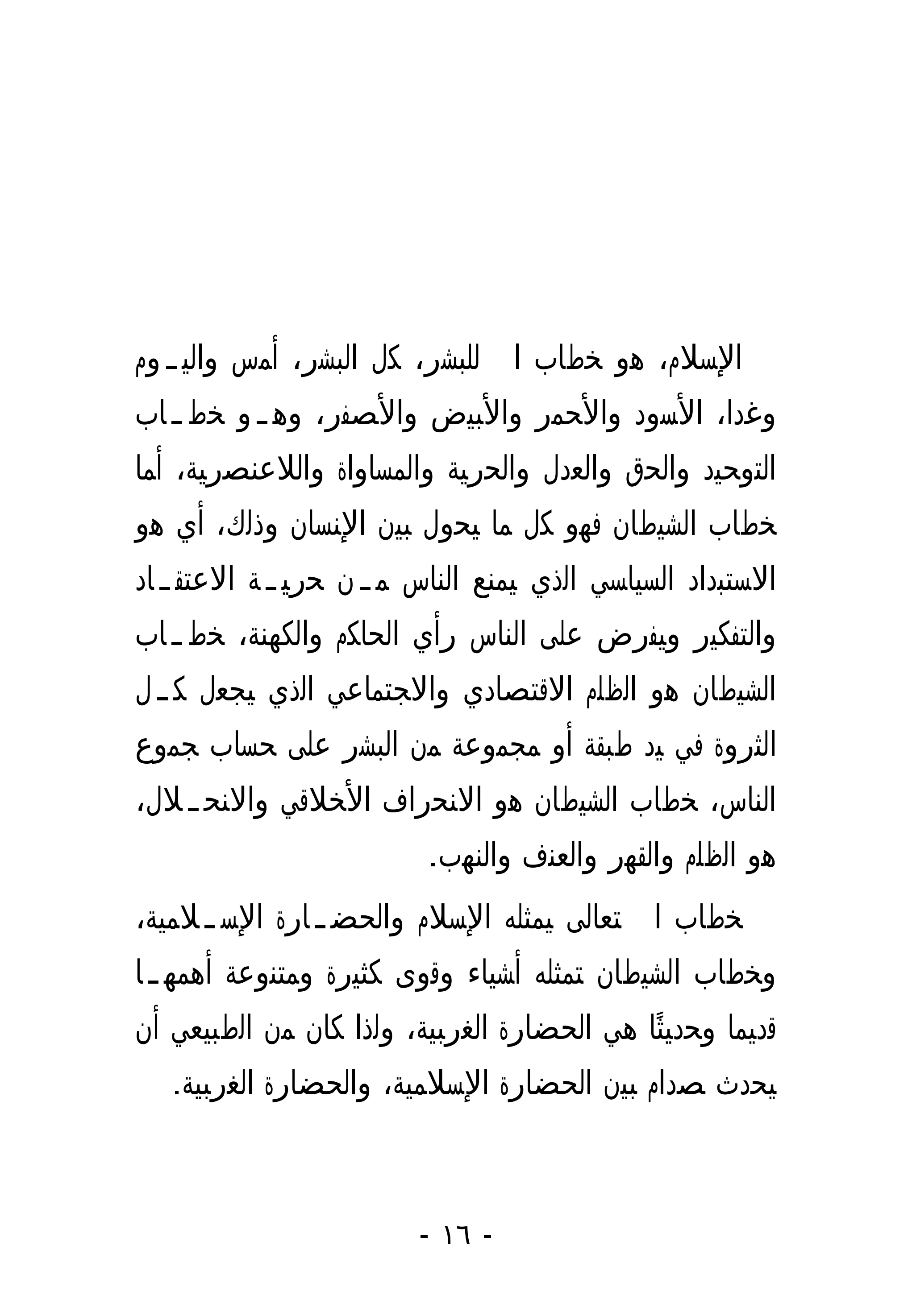
* * * *

خطاب اللّه وخطاب الشيطان

﴿ ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾

(سورة النساء الآية ١٠٢).

* * * *



الإسلام، هو خطاب ا للبشر، كل البشر، أمس واليـوم وغدا، الأسود والأحمر والأبيض والأصفر، وهـو خطـاب التوحيد والحق والعدل والحرية والمساواة واللاعنصرية، أما خطاب الشيطان فهو كل ما يحول بين الإنسان وذلك، أي هو الاستبداد السياسي الذي يمنع الناس مـن حريـة الاعتقـاد والتفكير ويفرض على الناس رأي الحاكم والكهنة، خطـاب الشيطان هو الظلم الاقتصادي والاجتماعي الذي يجعل كـل الثروة في يد طبقة أو مجموعة من البشر على حساب جموع الناس، خطاب الشيطان هو الانحراف الأخلاقي والانحـلال، هو الظلم والقهر والعنف والنهب.

خطاب ا تعالى يمثله الإسلام والحضـارة الإسـلامية، وخطاب الشيطان تمثله أشياء وقوى كثيرة ومتنوعة أهمهـا قديما وحديثًا هي الحضارة الغربية، ولذا كان من الطبيعي أن يحدث صدام بين الحضارة الإسلامية، والحضارة الغربية.

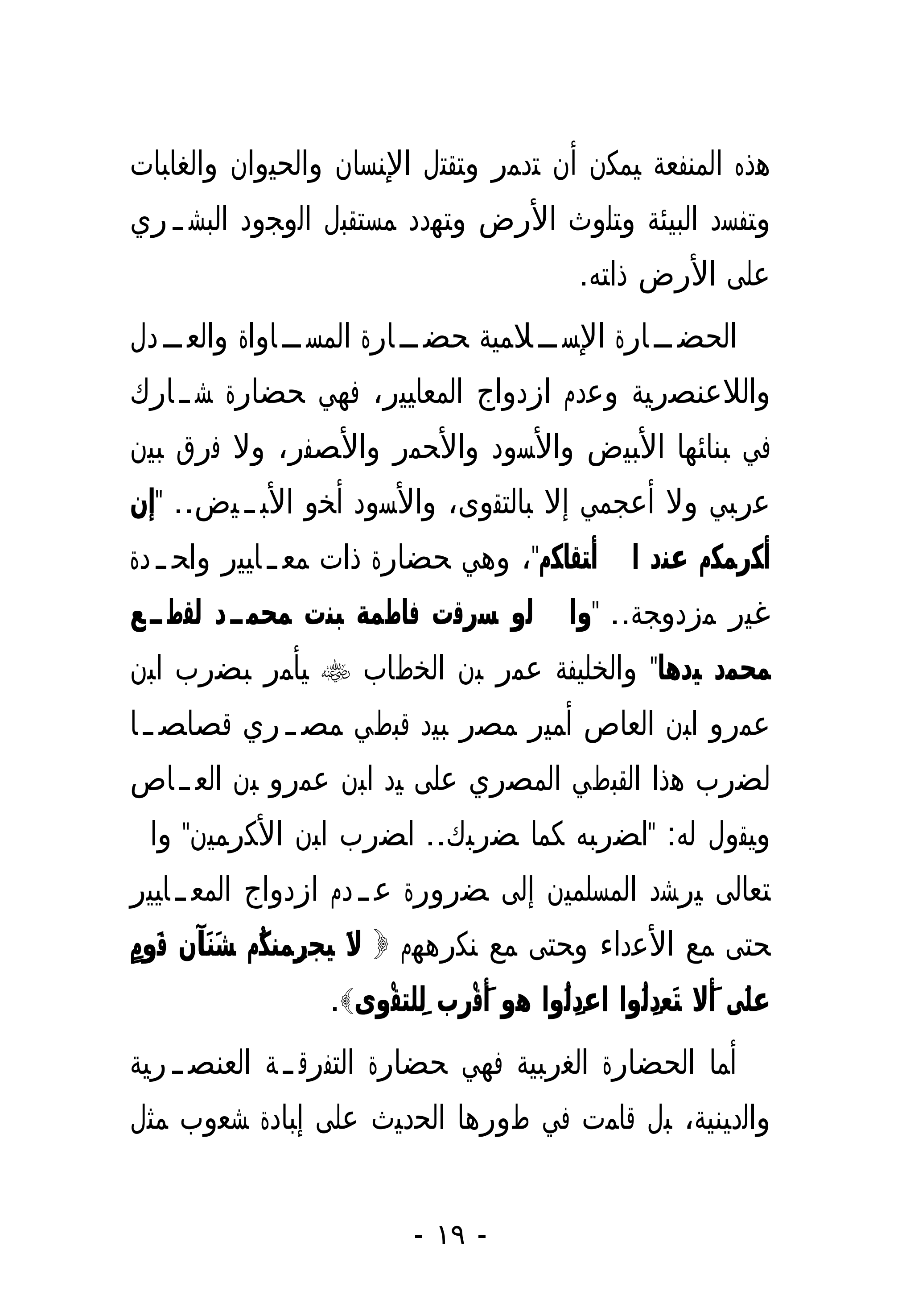
الحضارة الإسلامية حضارة التوحيد، أما الحضارة الغربية فهي حضارة وثنية في كل مراحلها الإغريقية واليونانية والرومانية والمسيحية وحتى الحضارة الغربية الحديثة الرأسمالي منها، والاشتراكي والشيوعي والنازي والفاشي فهي تؤله الأوثان والأشخاص أو المادة أو الحزب أو الفكرة وهكذا.

الحضارة الإسلامية هي حضارة الحرية بل هي تكافل من أجل الحرية والجهاد الإسلامي في جوهره جهاد لتحرير كل البشر من الحكام الطغاة والأنظمة المستبدة والظلم الاجتماعي، ووضع الناس على طريق الاختيار الحر بلا إكراه من حاكم مستبد أو أجهزة قمعية متوحشة ﴿ **لاَ إِكْرَاه فِي الدين قَد تبين الرشْد مِن الْغَي**﴾... ﴿ **فَمن شَاء فَلْيؤْمِن ومن شَاء فَلْيكْفُر**﴾، أما الحضارة الغربية في كل مراحلها وروافدها الإغريقية واليونانية والرومانية والمسيحية، الرأسمالية والشيوعية والنازية والفاشية والاشتراكية فهي حضارة القهر والضعف وإرغام الناس على مبادئ مدنية وإلا قتلوا وصلبوا وحرقوا وسجنوا وشردوا.

الحضارة الإسلامية حضارة العـدل وإنصـاف الفقـراء والمظلومين والكادحين والمحرومين والمطحـونين "كـي لا تكون دولة بين الأغنياء"... "ليس منا من بات شبعانًا وجاره جائع"... "والجار هنا قد يكون فردا أو أسـرة أو مدينـة أو دولة أو قارة وهكذا..." إذا جاع الناس فـلا مـال لأحـد".. "لأخذت فضول أموال الأغنياء فردتها على الفقراء".

أما الحضارة الغربية فهي حضارة النهب، نهب الشعوب، ونهب الطبقات بعضها لبعض، حضارة المجاعـات ومـوت الأطفال.

الحضارة الإسلامية حضارة ذات مسئولية أخلاقية، فهـي أمينة على البيئة وعلى مستقبل الحياة البشرية على الأرض.. فلا إنتاج لأشياء ضارة تلوث البيئـة أو تـدمر الكائنـات أو تشكل خطرا على الأمان البيولوجي على الأرض، فكل شيء يخضع لتوجيهات وأهداف عليا تحرص على التوازن الفردي والجماعي، وتحرص على عدم الإفساد البيولوجي والبيئـي وتحرص على أن يكون هدفها سعادة الإنسان وليس مجـرد الربح والإنتاج بلا ضوابط أخلاقية أما الحضـارة الغربيـة، فهي تقوم على فكرة المنفعة اللاأخلاقية وبالتالي وفي سـبيل


هذه المنفعة يمكن أن تدمر وتقتل الإنسان والحيوان والغابات وتفسد البيئة وتلوث الأرض وتهدد مستقبل الوجود البشـري على الأرض ذاته.

الحضـارة الإسـلامية حضـارة المسـاواة والعـدل واللاعنصرية وعدم ازدواج المعايير، فهي حضارة شـارك في بنائها الأبيض والأسود والأحمر والأصفر، ولا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى، والأسود أخو الأبـيض.. "**إن أكرمكم عند ا أتقاكم**"، وهي حضارة ذات معـايير واحـدة غير مزدوجة.. "**وا لو سرقت فاطمة بنت محمـد لقطـع محمد يدها**" والخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر بضرب ابن عمرو ابن العاص أمير مصر بيد قبطي مصـري قصاصـا لضرب هذا القبطي المصري على يد ابن عمرو بن العـاص ويقول له: "اضربه كما ضربك.. اضرب ابن الأكرمين" وا تعالى يرشد المسلمين إلى ضرورة عـدم ازدواج المعـايير حتى مع الأعداء وحتى مع نكرههم ﴿ **لاَ يجرمنكُم شَنَآن قَومٍ علَى أَلا تَعدِلُوا اعدِلُوا هو أَقْرب لِلتقْوى**﴾.

أما الحضارة الغربية فهي حضارة التفرقـة العنصـرية والدينية، بل قامت في طورها الحديث على إبادة شعوب مثل

الهنود الحمر واسترقاق شعوب مثل الأفارقة ونهـب العـالم كله، وهي حضارة مزدوجة المعايير فهي تدعي الدفاع عـن حقوق الإنسان ثم تغمض عينها عن ممارسات إسرائيل تجاه الشعب الفلسطيني.

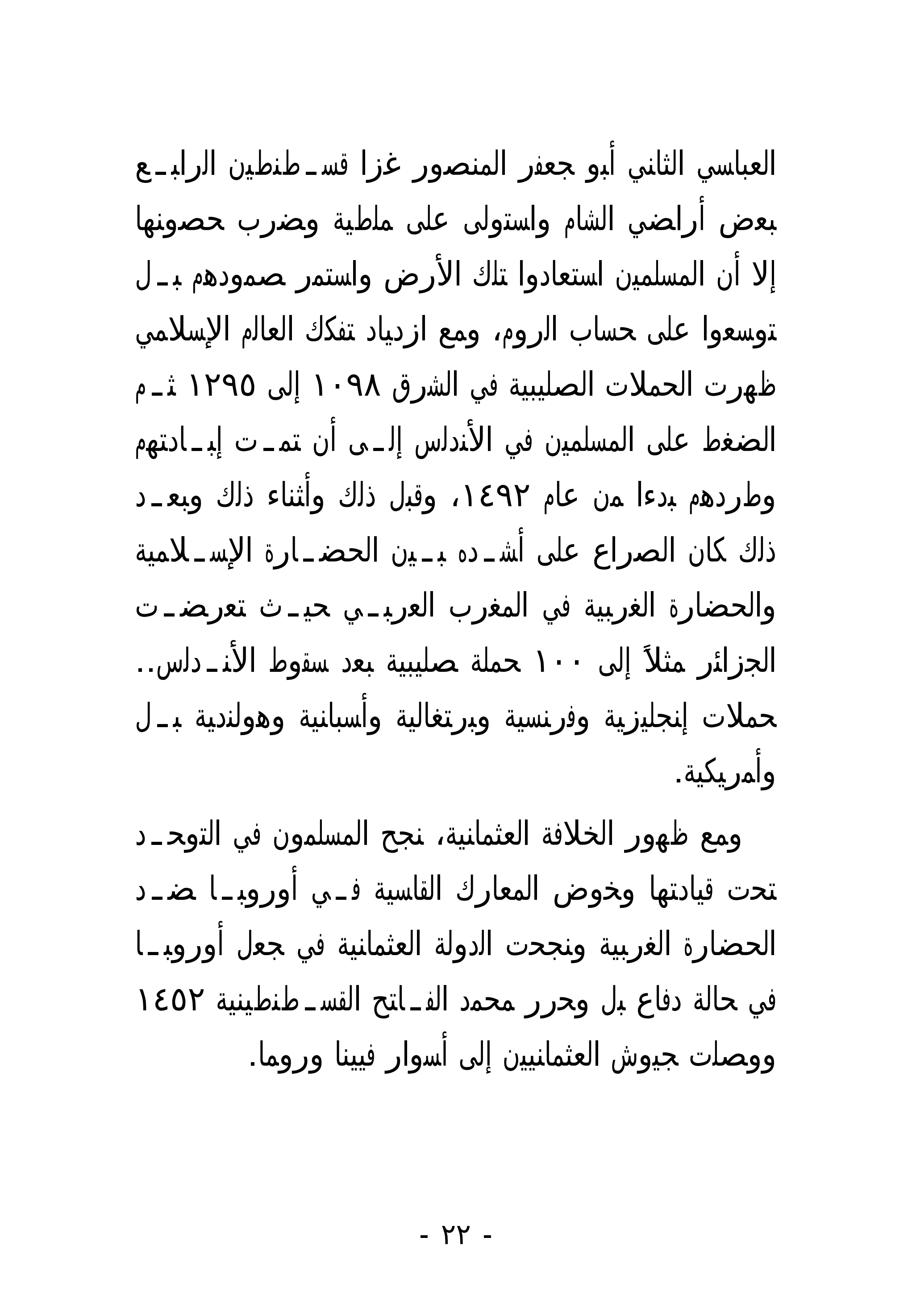
* * * *

وما دام الأمر كذلك فإنه من الطبيعي أن يحـدث صـدام وصراع حتميين بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، فالمسلمون مأمورون من ا تعالى بالجهاد من أجل تحريـر كل البشر وإزالة كافة أشكال الطغيـان والظلـم والاسـتبداد والقهر والحرمان والعنصرية وكلها قيم كانت - ولا تزال - سائدة في الحضارة الغربية، أي لابـد مـن الجهـاد ضـد الحضارة الغربية، والحضارة الغربية من ناحيتها وجدت أنه من الضروري - حفاظًا على مصالح حكامهـا واسـتمرارا لقيمها المنحطة واستمرارا لنهبها وقهرها للشعوب والطبقات - أن تحاول استئصال شأفة الحضارة الإسـلامية حيـث لا مستقبل للحضارة الغربية إلا بالقضاء على الإسلام والمسلمين والحضارة الإسلامية.

وقد بدأ هذا الصراع مبكرا جدا، واسـتمر فـي الزمـان والمكان حتى يومنا هذا، ففي حياة الرسول (ﷺ) ـ أي منـذ البداية ـ حدثت أربع مواجهات مع الروم وحلفائهم، مرة في دومة الجندل ومرة في مؤتة، ومرة في موطن قبائل قضاعة، ومرة في تبوك. وفي آخر حياة الرسول (ﷺ) تم تجهيز جيش أسامة بن زيد للذهاب إلى الشام، ولما مرض الرسول تعطل خروج هذا الجيش وكان من وصايا الرسول (ﷺ) في مرضه الأخير إنفاذ جيش أسامة، وقد وفى الخليفة الصديق رضي الله عنه بذلك رغم ظهور مشاكل الردة في الجزيرة العربية نفسها.

وفي عهد الخلفاء الراشدين استمر الصـراع فـي الشـام وشمال أفريقيا ضد الروم حتى تم فتح بلاد الشـام ومصـر وغيرهما، ثم في عهدي الخلافتين الأموية والعباسية اسـتمر الصراع في الشام وشمال أفريقيا وفتح المسـلمون الأنـدلس ووصلوا إلى فرنسا ذاتها وأوغلوا فيها إلى نهر الدون سـنة ١١٤ هـ.

وعندما بدأ الضعف يسري في جسد الأمـة الإسـلامية، التقطت الحضارة الغربية الفرصة وبدأت ضغطها على العالم الإسلامي، ففي سنة ١٣٧ هت. وفي أثنـاء حكـم الخليفـة



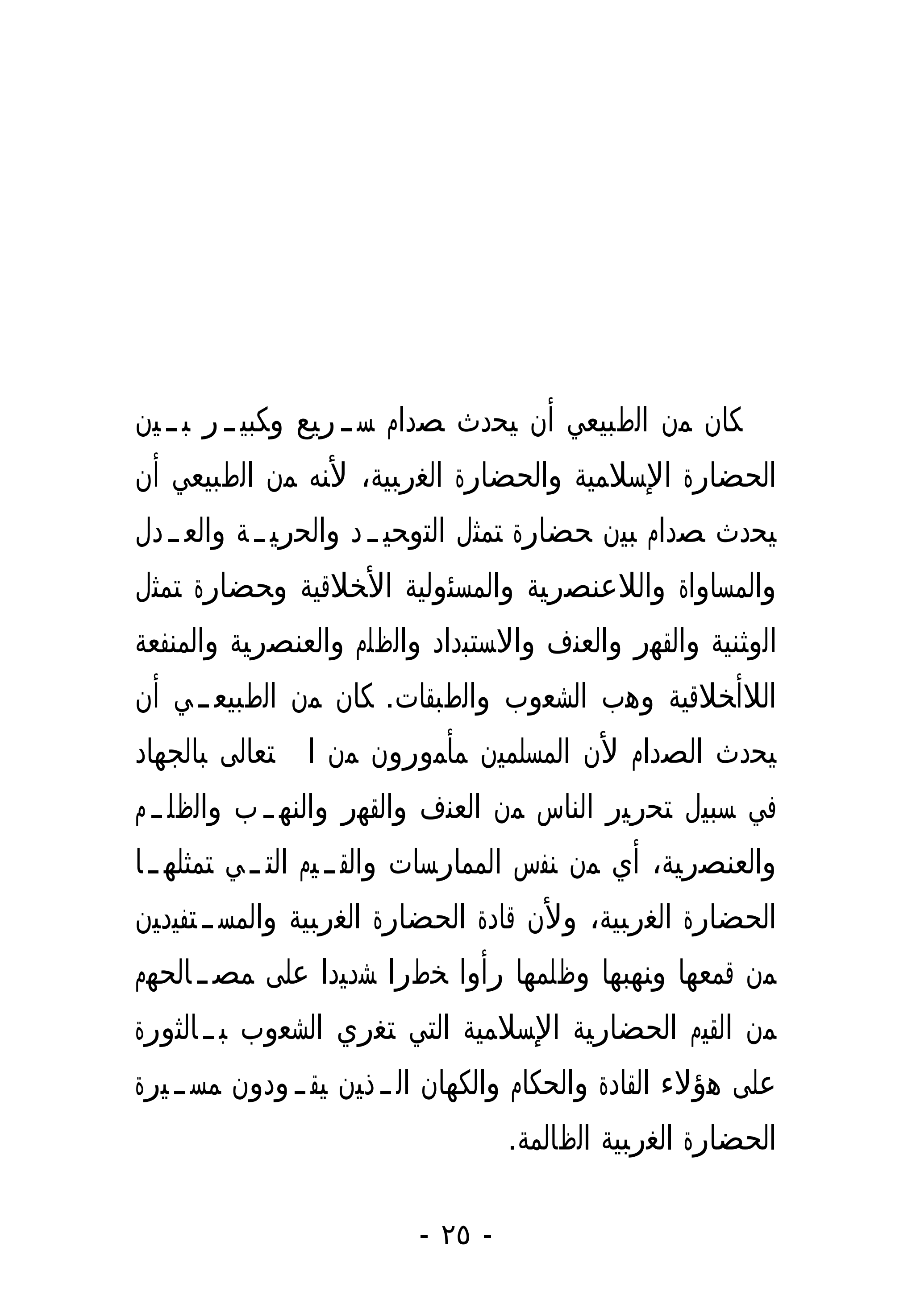
العباسي الثاني أبو جعفر المنصور غزا قسطنطين الرابع بعض أراضي الشام واستولى على ملطية وضرب حصونها إلا أن المسلمين استعادوا تلك الأرض واستمر صمودهم بل توسعوا على حساب الروم، ومع ازدياد تفكك العالم الإسلامي ظهرت الحملات الصليبية في الشرق ١٠٩٨ إلى ١٢٩٥ ثم الضغط على المسلمين في الأندلس إلى أن تمت إبادتهم وطردهم بدءا من عام ١٤٩٢، وقبل ذلك وأثناء ذلك وبعد ذلك كان الصراع على أشده بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية في المغرب العربي حيث تعرضت الجزائر مثلاً إلى ١٠٠ حملة صليبية بعد سقوط الأندلس.. حملات إنجليزية وفرنسية وبرتغالية وأسبانية وهولندية بل وأمريكية.

ومع ظهور الخلافة العثمانية، نجح المسلمون في التوحد تحت قيادتها وخوض المعارك القاسية في أوروبا ضد الحضارة الغربية ونجحت الدولة العثمانية في جعل أوروبا في حالة دفاع بل وحرر محمد الفاتح القسطنطينية ١٤٥٢ ووصلت جيوش العثمانيين إلى أسوار فيينا وروما.

ومع ضعف الدولة العثمانية استردت أوروبا الهجوم على العالم الإسلامي، ووصل الأمر إلى إنهاء الحكم العثماني في أجزاء كبيرة من أوروبا ثم الهجوم على العـالم الإسـلامي عموما في آسيا وأفريقيا، واحتلال الكثير مـن بـلاده فيمـا عرف بالاستعمار الحديث، الذي بدأ بحملة بونـابرت علـى مصر ١٧٩٨، ثم انتهى الأمر إلى إسقاط الخلافة العثمانيـة وتمزيق وحدة العالم الإسلامي وسقوط كل بلاده تقريبا فـي قبضة الاستعمار، ثم تسليم فلسطين لليهود ليقيموا فيها دولـة إسرائيل عام ١٩٤٨.

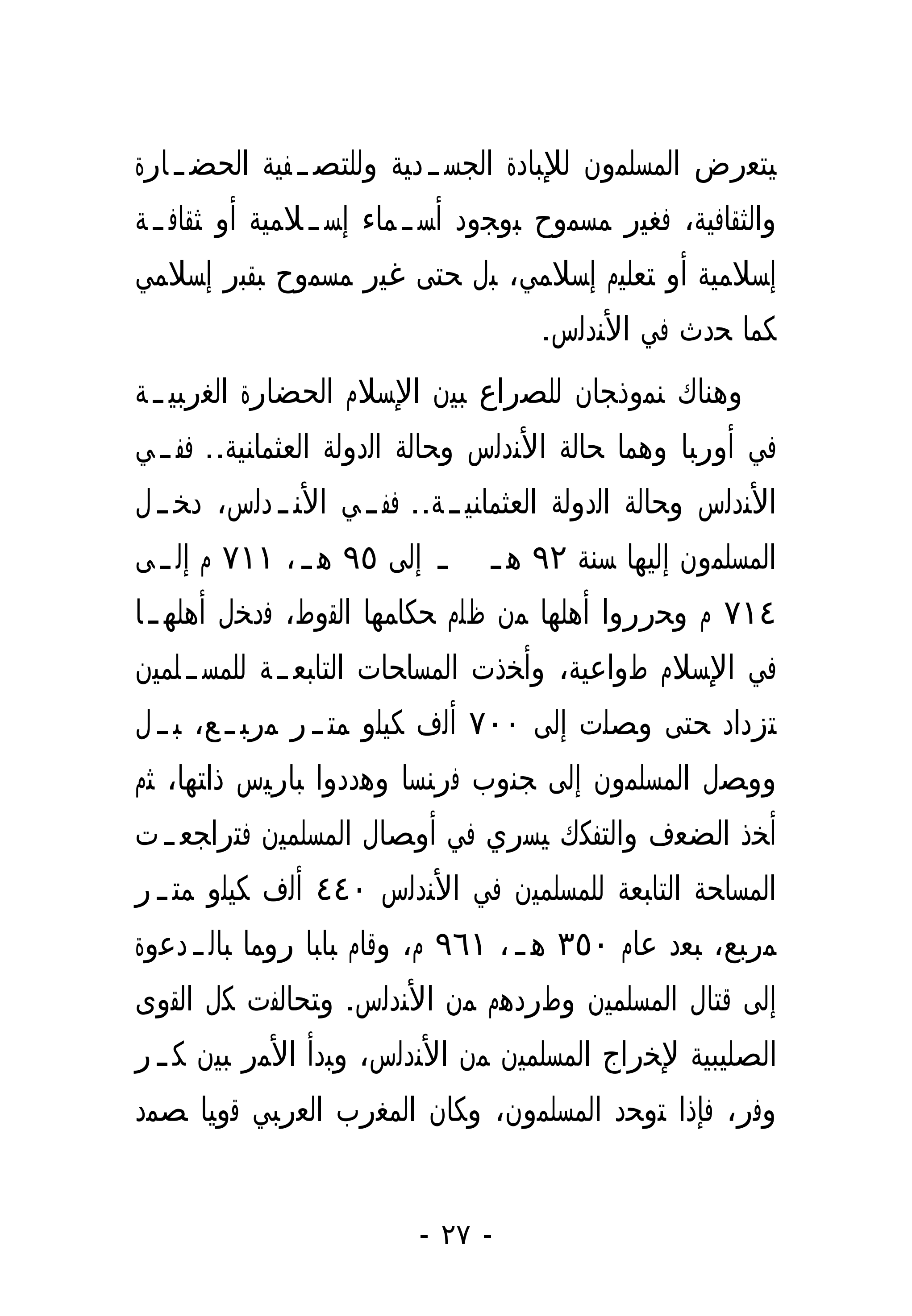
* * * *

الصراع بين الحضارة الإسلامية
والحضارة الغربية في أوروبا



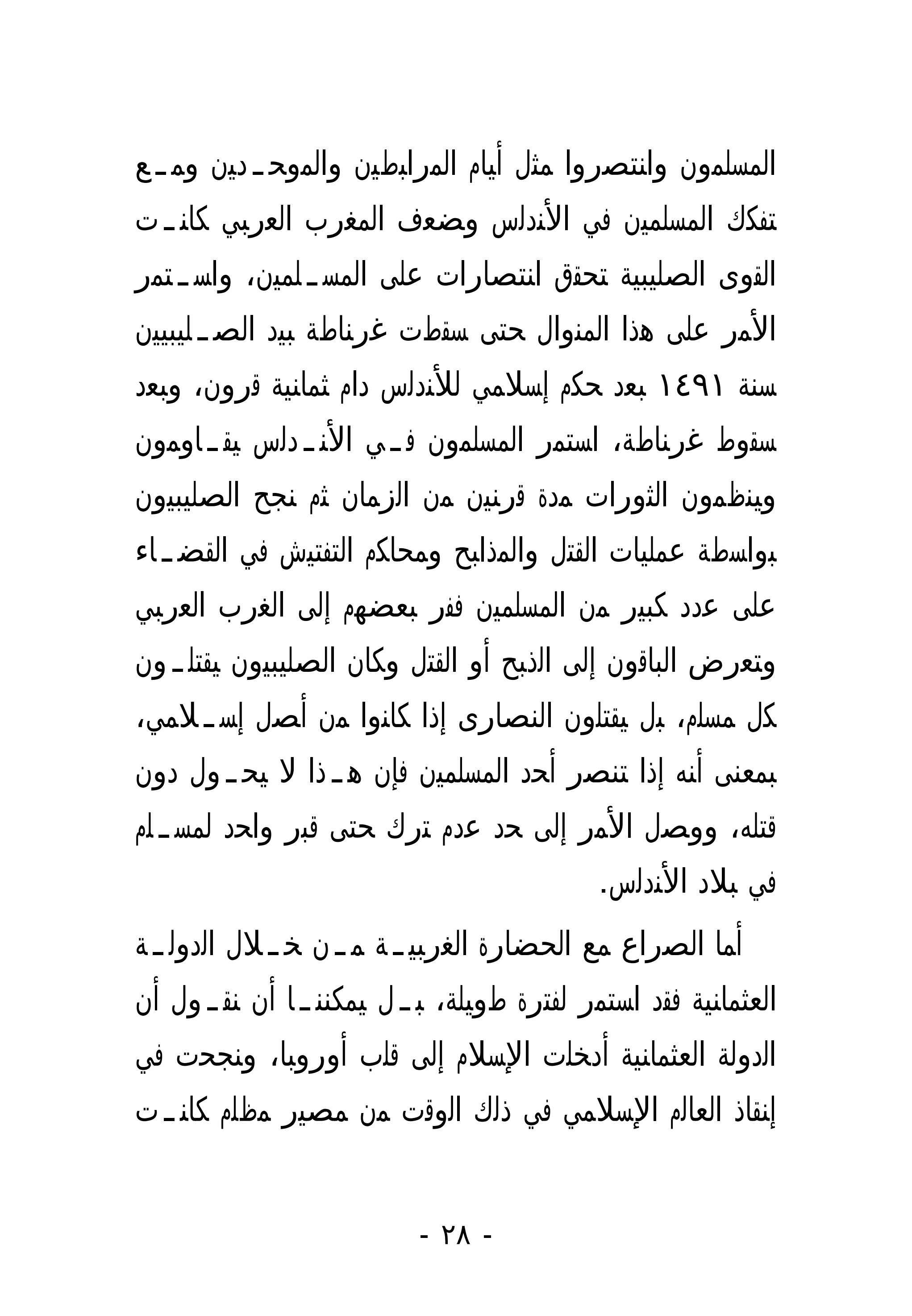
كان من الطبيعي أن يحدث صدام سريع وكبير بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، لأنه من الطبيعي أن يحدث صدام بين حضارة تمثل التوحيد والحرية والعدل والمساواة واللاعنصرية والمسئولية الأخلاقية وحضارة تمثل الوثنية والقهر والعنف والاستبداد والظلم والعنصرية والمنفعة اللاأخلاقية وهب الشعوب والطبقات. كان من الطبيعي أن يحدث الصدام لأن المسلمين مأمورون من الله تعالى بالجهاد في سبيل تحرير الناس من العنف والقهر والنهب والظلم والعنصرية، أي من نفس الممارسات والقيم التي تمثلها الحضارة الغربية، ولأن قادة الحضارة الغربية والمستفيدين من قمعها ونهبها وظلمها رأوا خطرا شديدا على مصالحهم من القيم الحضارية الإسلامية التي تغري الشعوب بالثورة على هؤلاء القادة والحكام والكهان الذين يقودون مسيرة الحضارة الغربية الظالمة.

وقع الصدام منذ حياة الرسول () واستمر في الزمـان والمكان في آسيا وأفريقيا وأوروبا، ولكنه اتخذ أبعادا خاصة داخل أوروبا ذاتها، وكان المسلمون قد نجحوا فـي دخـول الأندلس ووصلوا إلى جنوب فرنسا، كما نجح العثمانيون في الوصول إلى أسوار فيينا وجنوب روما، ودخل قطاع لا بأس به من أهل أوروبا أنفسهم في الإسـلام مثـل أهـل ألبانيـا وكوسوفو والبوسنة والهرسك وعـدد آخـر فـي بلغاريـا ورومانيا وغيرهما، بحيث صار هؤلاء يمثلون أولاً قاعـدة حضارية وأخلاقية إسلامية قـادرة علـى تحـدي النمـوذج الحضاري الغربي في عقر داره وتمثل أيضا مجالاً لجـذب باقي الشعوب الأوروبية إلى الإسلام لأنه سيكون حيا بقيمـه أمامهم من خلال الكتل السكانية المسلمة في أوروبا، وكـان معنى هذا أن هناك خطرا ماحقًا على وجود الحضارة الغربية ذاتها وفي عقر دارها، ولـذلك تميـز رد الفعـل الغربـي الاستكباري تجاه المسلمين في أوروبـا بالعصـبية الشـديدة والقمع والاضطهاد والإبادة والحصار بلا هوادة، وما حـدث في الأندلس، وما حدث في بلغاريا وما يحـدث اليـوم فـي البوسنة والهرسك مجرد نماذج على ذلـك السـلوك حيـث



يتعرض المسلمون للإبادة الجسدية وللتصفية الحضارة والثقافية، فغير مسموح بوجود أسماء إسلامية أو ثقافة إسلامية أو تعليم إسلامي، بل حتى غير مسموح بقبر إسلامي كما حدث في الأندلس.

وهناك نموذجان للصراع بين الإسلام الحضارة الغربية في أوربا وهما حالة الأندلس وحالة الدولة العثمانية.. ففي الأندلس وحالة الدولة العثمانية.. ففي الأندلس، دخل المسلمون إليها سنة ٩٢ هـ - إلى ٩٥ هـ، ٧١١ م إلى ٧١٤ م وحرروا أهلها من ظلم حكامها القوط، فدخل أهلها في الإسلام طواعية، وأخذت المساحات التابعة للمسلمين تزداد حتى وصلت إلى ٧٠٠ ألف كيلو متر مربع، بل ووصل المسلمون إلى جنوب فرنسا وهددوا باريس ذاتها، ثم أخذ الضعف والتفكك يسري في أوصال المسلمين فتراجعت المساحة التابعة للمسلمين في الأندلس ٤٤٠ ألف كيلو متر مربع، بعد عام ٣٥٠ هـ، ٩٦١ م، وقام بابا روما بالدعوة إلى قتال المسلمين وطردهم من الأندلس. وتحالفت كل القوى الصليبية لإخراج المسلمين من الأندلس، وبدأ الأمر بين كر وفر، فإذا توحد المسلمون، وكان المغرب العربي قويا صمد



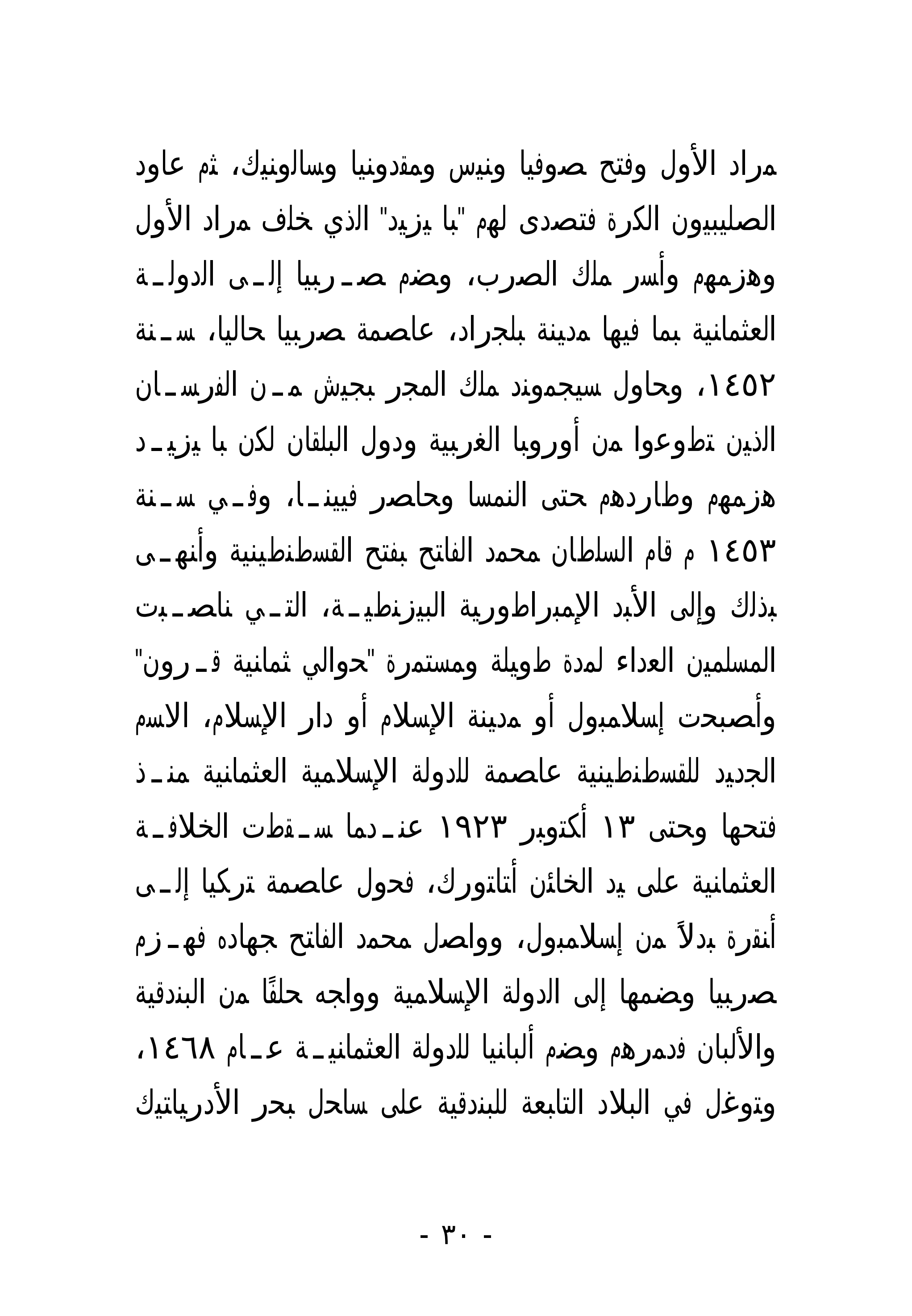
المسلمون وانتصروا مثل أيام المرابطين والموحدين ومع تفكك المسلمين في الأندلس وضعف المغرب العربي كانت القوى الصليبية تحقق انتصارات على المسلمين، واستمر الأمر على هذا المنوال حتى سقطت غرناطة بيد الصليبيين سنة ١٤٩١ بعد حكم إسلامي للأندلس دام ثمانية قرون، وبعد سقوط غرناطة، استمر المسلمون في الأندلس يقاومون وينظمون الثورات مدة قرنين من الزمان ثم نجح الصليبيون بواسطة عمليات القتل والمذابح ومحاكم التفتيش في القضاء على عدد كبير من المسلمين ففر بعضهم إلى الغرب العربي وتعرض الباقون إلى الذبح أو القتل وكان الصليبيون يقتلون كل مسلم، بل يقتلون النصارى إذا كانوا من أصل إسلامي، بمعنى أنه إذا تنصر أحد المسلمين فإن هذا لا يحول دون قتله، ووصل الأمر إلى حد عدم ترك حتى قبر واحد لمسلم في بلاد الأندلس.

أما الصراع مع الحضارة الغربية من خلال الدولة العثمانية فقد استمر لفترة طويلة، بل يمكننا أن نقول أن الدولة العثمانية أدخلت الإسلام إلى قلب أوروبا، ونجحت في إنقاذ العالم الإسلامي في ذلك الوقت من مصير مظلم كانت

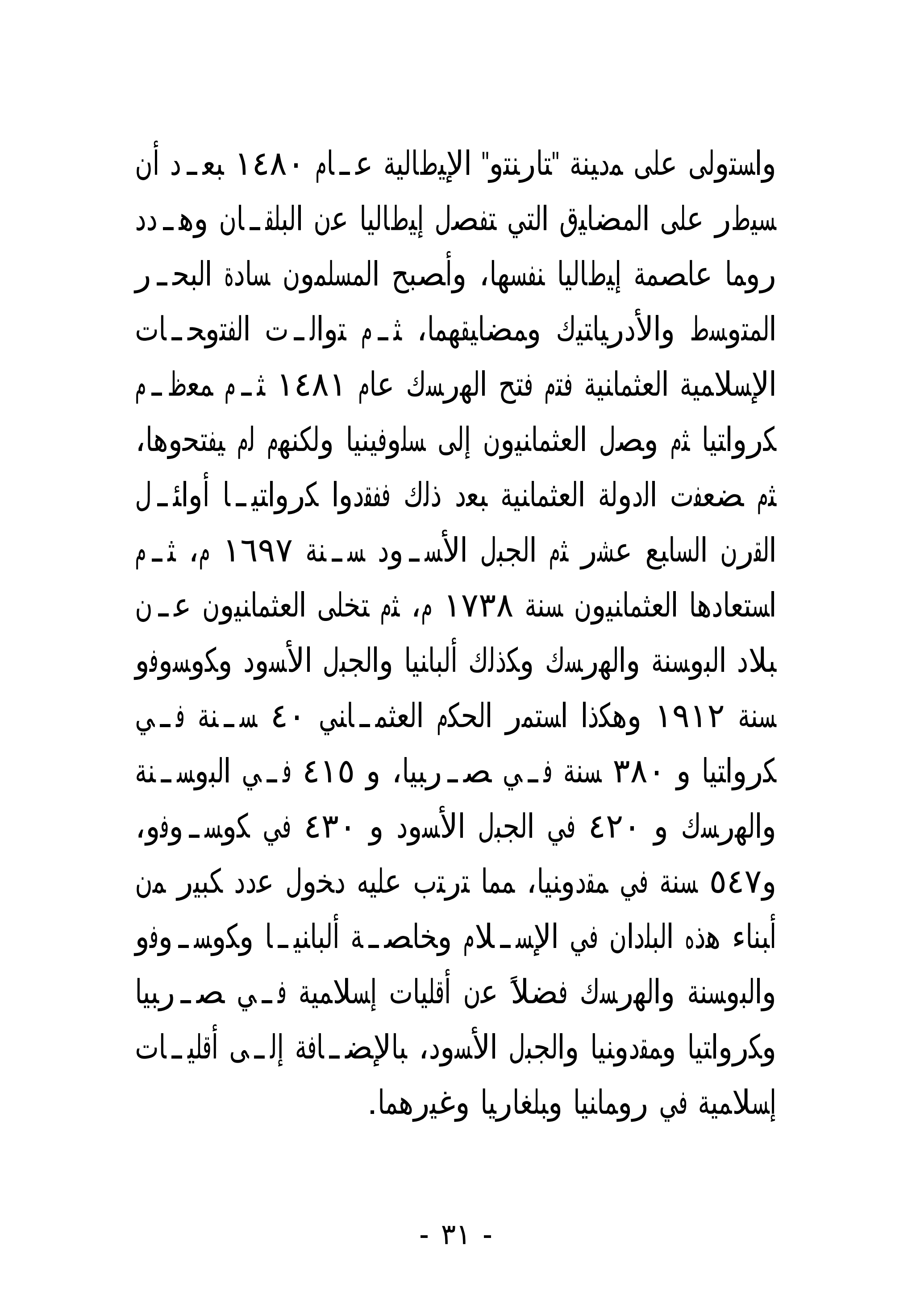
أوروبا تعد له، بل قلب الكفـة لصـالح الإسـلام فحـررت القسطنطينية ١٤٥٣ م، ووصلت إلى أسوار رومـا وفيينـا وأدخلت أهالي ألبانيا وكوسوفو والبوسنة والهرسك وعددا لا بأس به في رومانيا وبلغاريا وغيرهما في الإسلام، بـل إن التآمر الواسع الذي تعرضت له الدولة العثمانية على يد دول أوروبا كان بسبب بلاء الدولة العثمانية العظيم لخدمة الإسلام والدفاع عن المسلمين بل وتهديد أوروبا ذاتها فـي القلـب، ولعل الحقد الكبير والكراهية التي تحظى بها الدولة العثمانية لدى العلمانيين في بلادنا وهـم عمـلاء لأوروبـا ولقيمهـا الحضارية يرجع إلى هذا السبب. ولعل بدايات الصـدام [1] بين الدولة العثمانية وأوروبا كان عام ١٤٣٥ عنـدما عبـر العثمانيون مضيق البوسفور واستولوا علـى شـبه جزيـرة غاليبولي، ثم تعدوا أوروبا ففتحوا مدينة أدرنة عام ١٣٥١ م بقيادة مراد بن أردخان وجعلوها عاصمة للدولة الإسـلامية الفتية في أوروبا، وعقب ذلك، دعا البابا إلى حروب صليبية اشتركت فيها دول البلقان ونصارى الغرب فانتصر علـيهم

---

(١) نقلاً عن كيف دخل الإسلام البلقان ـ رسالة المهنـدس ـ عـدد خاص.



مراد الأول وفتح صوفيا ونيس ومقدونيا وسالونيك، ثم عاود الصليبيون الكرة فتصدى لهم "با يزيد" الذي خلف مراد الأول وهزمهم وأسر ملك الصرب، وضم صـربيا إلـى الدولـة العثمانية بما فيها مدينة بلجراد، عاصمة صربيا حاليا، سـنة ١٤٥٢، وحاول سيجموند ملك المجر بجيش مـن الفرسـان الذين تطوعوا من أوروبا الغربية ودول البلقان لكن با يزيـد هزمهم وطاردهم حتى النمسا وحاصر فيينـا، وفـي سـنة ١٤٥٣ م قام السلطان محمد الفاتح بفتح القسطنطينية وأنهـى بذلك وإلى الأبد الإمبراطورية البيزنطيـة، التـي ناصـبت المسلمين العداء لمدة طويلة ومستمرة "حوالي ثمانية قـرون" وأصبحت إسلامبول أو مدينة الإسلام أو دار الإسلام، الاسم الجديد للقسطنطينية عاصمة للدولة الإسلامية العثمانية منـذ فتحها وحتى ١٣ أكتوبر ١٩٢٣ عنـدما سـقطت الخلافـة العثمانية على يد الخائن أتاتورك، فحول عاصمة تركيا إلـى أنقرة بدلاً من إسلامبول، وواصل محمد الفاتح جهاده فهـزم صربيا وضمها إلى الدولة الإسلامية وواجه حلفًا من البندقية والألبان فدمرهم وضم ألبانيا للدولة العثمانيـة عـام ١٤٦٨، وتوغل في البلاد التابعة للبندقية على ساحل بحر الأدرياتيك

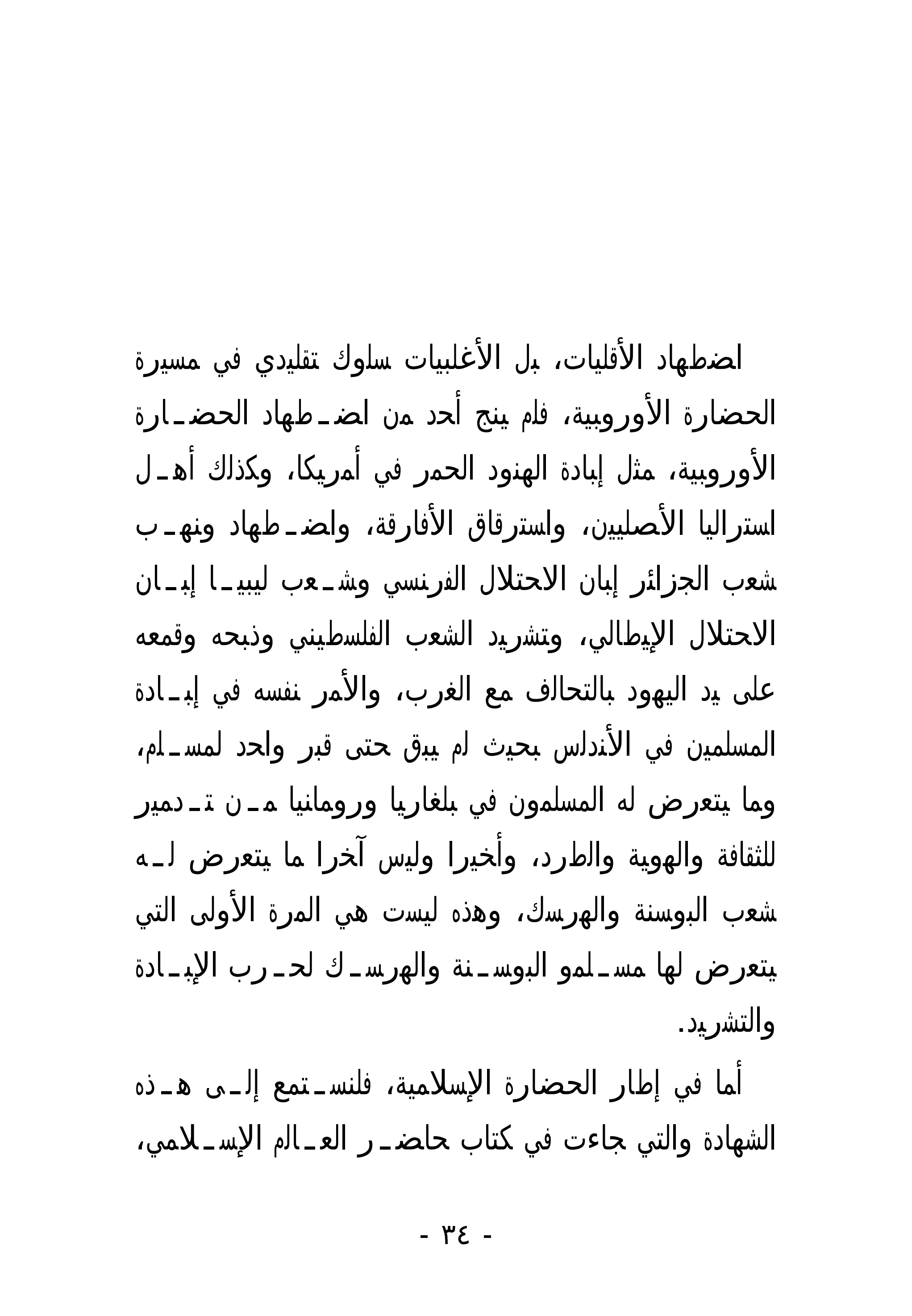


واستولى على مدينة "تارنتو" الإيطالية عـام ١٤٨٠ بعـد أن سيطر على المضايق التي تفصل إيطاليا عن البلقـان وهـدد روما عاصمة إيطاليا نفسها، وأصبح المسلمون سادة البحـر المتوسط والأدرياتيك ومضايقهما، ثـم توالـت الفتوحـات الإسلامية العثمانية فتم فتح الهرسك عام ١٤٨١ ثـم معظـم كرواتيا ثم وصل العثمانيون إلى سلوفينيا ولكنهم لم يفتحوها، ثم ضعفت الدولة العثمانية بعد ذلك ففقدوا كرواتيـا أوائـل القرن السابع عشر ثم الجبل الأسـود سـنة ١٦٩٧ م، ثـم استعادها العثمانيون سنة ١٧٣٨ م، ثم تخلى العثمانيون عـن بلاد البوسنة والهرسك وكذلك ألبانيا والجبل الأسود وكوسوفو سنة ١٩١٢ وهكذا استمر الحكم العثمـاني ٤٠ سـنة فـي كرواتيا و ٣٨٠ سنة فـي صـربيا، و ٤١٥ فـي البوسـنة والهرسك و ٤٢٠ في الجبل الأسود و ٤٣٠ في كوسـوفو، و٥٤٧ سنة في مقدونيا، مما ترتب عليه دخول عدد كبير من أبناء هذه البلدان في الإسـلام وخاصـة ألبانيـا وكوسـوفو والبوسنة والهرسك فضلاً عن أقليات إسلامية فـي صـربيا وكرواتيا ومقدونيا والجبل الأسود، بالإضـافة إلـى أقليـات إسلامية في رومانيا وبلغاريا وغيرهما.

وعلينا أن نلاحظ في تجربتي الأندلس والدولة العثمانيـة، أنه بعد ضياع الأندلس، حاول الصليبيون احـتلال المغـرب العربي، وسجلت الحوادث أكثر مـن ١٠٠ محاولـة لغـزو الجزائر بعد سقوط الأندلس وحتى عام ١٨٣٠ وهذا يؤكد أن الدفاع عن الإسلام في أوروبا هو حماية في حد ذاته للإسلام في شمال أفريقيا، كما أنه مع ضعف الدولة العثمانيـة فـإن الأهداف الأوروبية لم تقتصر على القضاء على الإسلام فـي أوروبا بل اتجهت الأطماع الأوروبية نحو الـبلاد العربيـة والإسلامية، وكانت النتيجة سقوط الكثير من الدول العربيـة والإسلامية تحت سيطرة الاستعمار، بل وضاعت فلسـطين، أي أن الدفاع عن الإسلام في أوروبا يدخل في صميم الأمن القومي العربي والإسلامي.

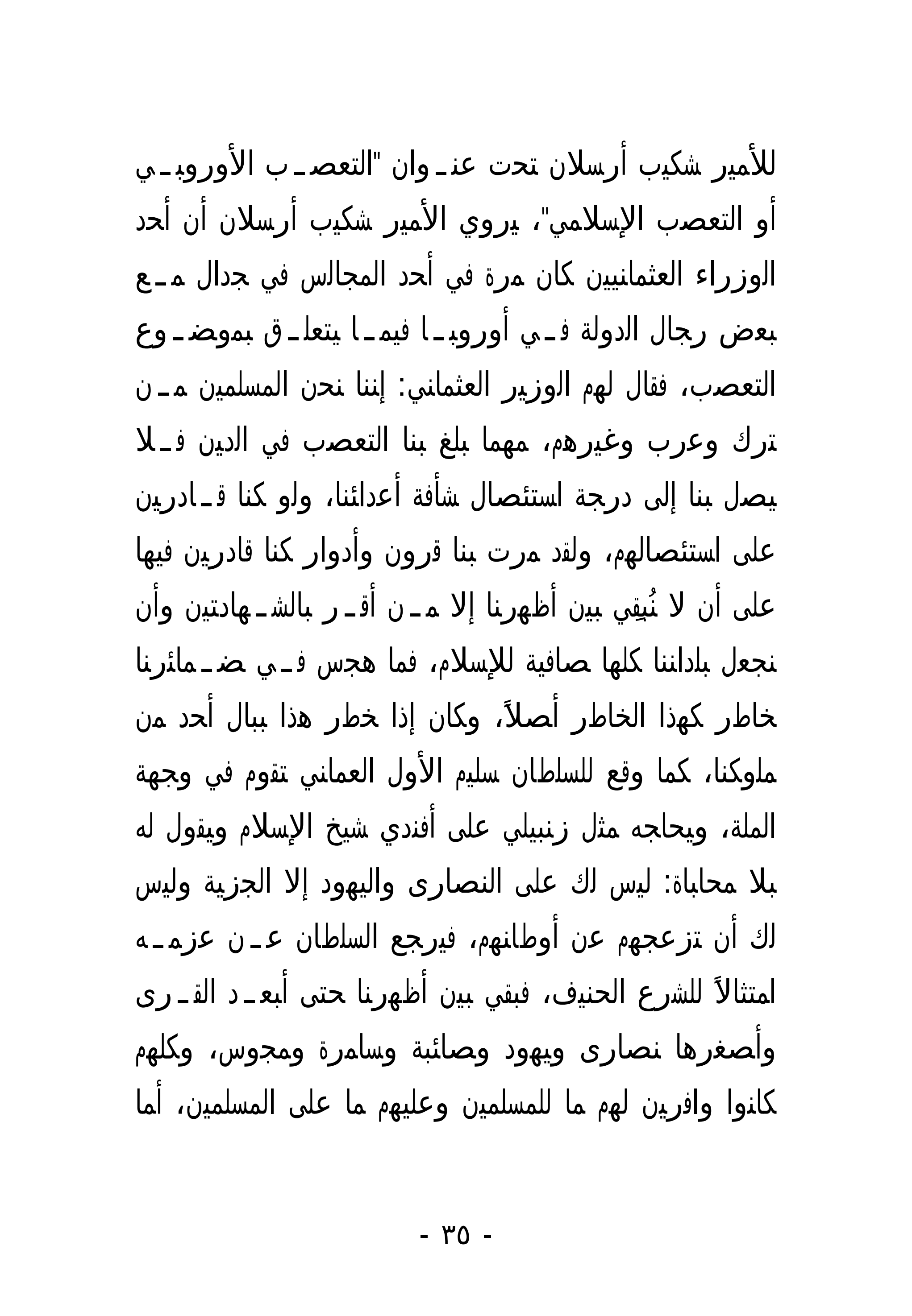
* * * *

الأقليات عندنا وعندهم



اضطهاد الأقليات، بل الأغلبيات سلوك تقليدي في مسيرة الحضارة الأوروبية، فلم ينج أحد من اضـطهاد الحضـارة الأوروبية، مثل إبادة الهنود الحمر في أمريكا، وكذلك أهـل استراليا الأصليين، واسترقاق الأفارقة، واضـطهاد ونهـب شعب الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي وشـعب ليبيـا إبـان الاحتلال الإيطالي، وتشريد الشعب الفلسطيني وذبحه وقمعه على يد اليهود بالتحالف مع الغرب، والأمر نفسه في إبـادة المسلمين في الأندلس بحيث لم يبق حتى قبر واحد لمسـلم، وما يتعرض له المسلمون في بلغاريا ورومانيا مـن تـدمير للثقافة والهوية والطرد، وأخيرا وليس آخرا ما يتعرض لـه شعب البوسنة والهرسك، وهذه ليست هي المرة الأولى التي يتعرض لها مسـلمو البوسـنة والهرسـك لحـرب الإبـادة والتشريد.

أما في إطار الحضارة الإسلامية، فلنسـتمع إلـى هـذه الشهادة والتي جاءت في كتاب حاضـر العـالم الإسـلامي،



للأمير شكيب أرسلان تحت عنوان "التعصب الأوروبي أو التعصب الإسلامي"، يروي الأمير شكيب أرسلان أن أحد الوزراء العثمانيين كان مرة في أحد المجالس في جدال مع بعض رجال الدولة في أوروبا فيما يتعلق بموضوع التعصب، فقال لهم الوزير العثماني: إننا نحن المسلمين من ترك وعرب وغيرهم، مهما بلغ بنا التعصب في الدين فلا يصل بنا إلى درجة استئصال شأفة أعدائنا، ولو كنا قادرين على استئصالهم، ولقد مرت بنا قرون وأدوار كنا قادرين فيها على أن لا نُبقِي بين أظهرنا إلا من أقر بالشهادتين وأن نجعل بلادنا كلها صافية للإسلام، فما هجس في ضمائرنا خاطر كهذا الخاطر أصلاً، وكان إذا خطر هذا ببال أحد من ملوكنا، كما وقع للسلطان سليم الأول العماني تقوم في وجهة الملة، ويحاجه مثل زنبيلي على أفندي شيخ الإسلام ويقول له بلا محاباة: ليس لك على النصارى واليهود إلا الجزية وليس لك أن تزعجهم عن أوطانهم، فيرجع السلطان عن عزمه امتثالاً للشرع الحنيف، فبقي بين أظهرنا حتى أبعد القرى وأصغرها نصارى ويهود وصابئة وسامرة ومجوس، وكلهم كانوا وافرين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، أما

أنتم معاشر الأوروبيين فلم تطيقوا أن يبقى بين أظهركم مسلم واحد واشترطتم عليه إذا بقي بينكم أن يتنصر، ولقد كان في أسبانيا ملايين وملايين من المسلمين، وكان في جنوبي فرنسا وفي شمال إيطاليا وفي جنوبها مئات الألوف منهم، ولبثوا في هاتيك الأوطان أعصرا مديدة، وما زلتم تستأصلوا منهم حتى لم يبق في هذه البلدان شخص واحد يدين بالإسـلام، ولقـد طفت بلاد أسبانيا كلها فلم أعثر فيها على قبر واحد يعـرف أنه قبر مسلم".

* * * *

حتى لا تتكرر مأساة الأندلس

فتحت البوسنة والهرسك على يد الخليفة المسلم محمد الفاتح، في إطار فتوحات الدولة العثمانية في أوروبا عموما ودول البلقان خصوصا.

وكان فتح البوسنة والهرسك سنة ١٤٨١، وقد دخل أهلها الإسلام، وتمسكوا به، وأصبح المسلمون في البوسنة والهرسك يمثلون اليوم ٥٥ % من السكان بالإضافة إلى ٣٤ % من الصرب، ١١ % من الكروات، كما يوجد عدد من المسلمين في صربيا وكرواتيا وغيرهما من بلاد البلقان. ومع ضعف الدولة العثمانية وتضاؤل نفوذها في أوروبا، وتخليها عن الكثير من المناطق المفتوحة، كان من الطبيعي أن تتعرض البوسنة والهرسك لمحاولات مستمرة لإبادة المسلمين فيها والقضاء على الثقافة الإسلامية فيها وفي غيرها من البلاد الأوروبية وتقع جمهورية البوسنة والهرسك في

منتصف يوغسلافيا سابقًا فيحدها من الشمال والغرب كرواتيا ومن الشرق صربيا ومن الجنوب الجبل الأسود.

وكانت جمهورية البوسنة والهرسك ضمن الاتحاد اليوغسلافي الذي كان يضم صربيا، كرواتيا، سلوفينيا، مقدونيا، الجبل الأسود، البوسنة والهرسك.

في أعقاب الحرب العالمية الأولى قام الصرب بعمل مذابح جماعية لمسلمي البوسنة والهرسك، وقاموا بحرق ٢٧٠ قرية مسلمة وقتل عدة آلاف من المسلمين نساء وأطفالاً وشيوخًا، الأمر الذي أدى إلى هروب ٣٠٠ ألف مسلم من البوسنة وتشريدهم.

في عام ١٩٤١ قام الصرب بذبح ٦٠ ألف مسلم وألقوا بهم في نهر الفولجا وتحولت مياه النهر إلى دماء.

عقب الحرب العالمية الثانية قامت حرب بين الصرب والكروات دفع المسلمون ثمنها إذ انتهت بتقسيم البوسنة والهرسك فيما بينهما.

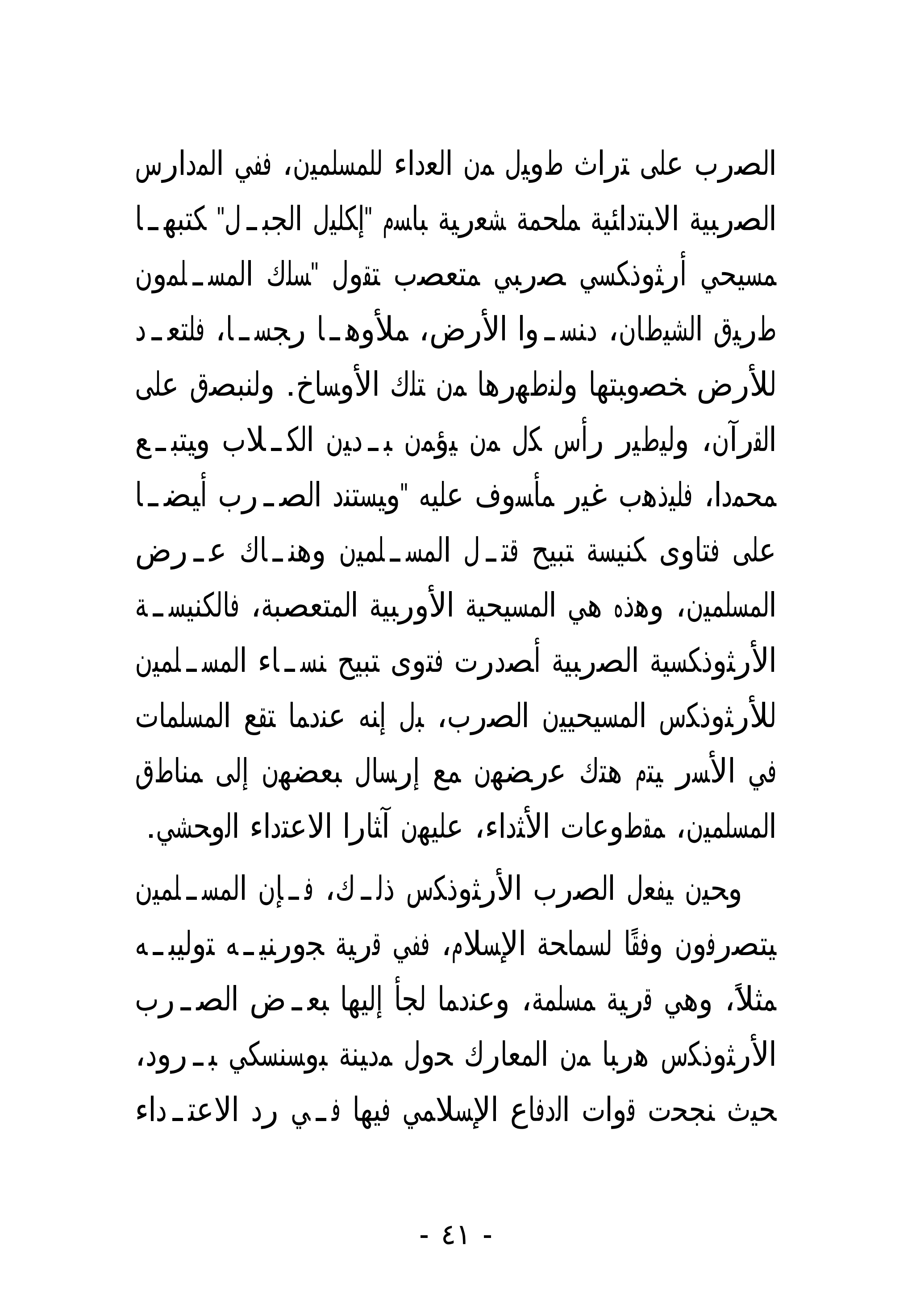
* * * *

المذبحة الأخيرة:

منذ عدة أشهر تدور مذبحـة كاملـة لأهـالي البوسـنة والهرسك عقب انفـراط عقـد الاتحـاد اليوغسـلافي بعـد التحولات الأخيرة في أوروبا الشرقية، أعلنت العديد من دول ذلك الاتحاد استقلالها عن الاتحاد، مثل كرواتيا وسـلوفينيا، ووجدت هاتان الدولتان من يحميهما من اعتداءات الصـرب حيث أنهما من الكاثوليك، فتحرك البابا في روما وتحركـت أوروبا، أما عندما أعلنت البوسنة والهرسك اسـتقلالها عـن الاتحاد اليوغسلافي فإن شلالات الدم المسلم قد تفجرت على يد الصرب الأرثوذكس الذين يريدون إقامة صربيا الكبـرى على حساب المسلمين أساسا، على حساب اقتطاع ٦٠ % من أرضهم وتشريدهم وتدمير ملامح حضـارتهم مـن مسـاجد ومدارس، وإذا كان تيتو [(١)] رئيس يوغسـلافيا السـابق قـد مارس الاضطهاد ضد المسلمين، لأنه لا أحد يحميهم، فـإن قادة صربيا الآن يتابعون المخطط بكثافة وقسـوة، ويسـتند

---

(١) كانت السلطات اليوغسلافية تطارد المسلمين النشطين مثل علـي عزت بيكوفتش رئيس جمهورية البوسنة والهرسـك حاليـا فلقـد أمضى في السجن مدة ١٥ سنة في عهد تيتو.



الصرب على تراث طويل من العداء للمسلمين، ففي المدارس الصربية الابتدائية ملحمة شعرية باسم "إكليل الجبل" كتبها مسيحي أرثوذكسي صربي متعصب تقول "سلك المسلمون طريق الشيطان، دنسوا الأرض، ملأوها رجسا، فلتعد للأرض خصوبتها ولنطهرها من تلك الأوساخ. ولنبصق على القرآن، وليطير رأس كل من يؤمن بدين الكلاب ويتبع محمدا، فليذهب غير مأسوف عليه "ويستند الصرب أيضا على فتاوى كنيسة تبيح قتل المسلمين وهناك عرض المسلمين، وهذه هي المسيحية الأوربية المتعصبة، فالكنيسة الأرثوذكسية الصربية أصدرت فتوى تبيح نساء المسلمين للأرثوذكس المسيحيين الصرب، بل إنه عندما تقع المسلمات في الأسر يتم هتك عرضهن مع إرسال بعضهن إلى مناطق المسلمين، مقطوعات الأثداء، عليهن آثارا الاعتداء الوحشي.

وحين يفعل الصرب الأرثوذكس ذلك، فإن المسلمين يتصرفون وفقًا لسماحة الإسلام، ففي قرية جورنيه توليبه مثلاً، وهي قرية مسلمة، وعندما لجأ إليها بعض الصرب الأرثوذكس هربا من المعارك حول مدينة بوسنسكي برود، حيث نجحت قوات الدفاع الإسلامي فيها في رد الاعتداء

الصربي، لجأ سكانها الصرب إلى قرية "توليين" التي أحسنت استقبالهم وأمنتهم على أنفسهم وأطعمتهم وألبستهم، اعتقـادا من أهل تلك القرية المسلمة بأنهم لا ذنب لهم فـي العـدوان الصربي على المسلمين، فما كان من هؤلاء اللاجئـين مـن الأرثوذكس إلى المسلمين، إلا أن شاركوا هم أنفسـهم فـي المذبحة التي وقعت فيما بعد عندما دخل الجيش الصربي تلك القرية وكان أول بيت يذبحون أصحابه هـو البيـت الـذي استضافهم وتناولا فيه الطعام وارتدوا الملابس، وهـذا هـو الفرق بين ضارة الإسلام وحضارة الغرب الصليبي.

* * * *

ورث الجيش الصربي، كل السلاح الثقيل التابع للجـيش اليوغسلافي السابق، وهذا الجيش اليوغسلافي السابق كـان من أقوى الجيوش وأكثرها عتادا وسلاحا فاستخدم الصـرب هذا السلاح في قتل المسـلمين وتقطيـع أوصـال البوسـنة والهرسك، فبلغ عدد القتلى حتى نهاية شهر يوليـو ١٩٩٢، ٦٠ ألف قتيل و ١٠٠ ألف جريح، و ٤٠ ألف معوق، و ١,٥ مليون لاجئ، وقد سجل صحفيون محايدون ووكالات أنبـاء شرقي وغربية كيف قام الصرب بعمل المـذابح المروعـة

وهدم البنية الأساسية لجمهورية البوسنة والهرسك، وتـدمير المساجد والآثار الإسلامية، ووصل الأمر إلـى حـد سـير الدبابات الصربية فوق المسلمين من أهل البوسنة وهم أحياء، وبقر بطون النساء الحوامل، بل واسـتخدام أجسـاد أطفـال المسلمين في صنع الأعلاف، ويستهدف الصرب مـن وراء ذلك كله إلى تكسيح جمهورية البوسنة والهرسـك واقتطـاع أجزاء كبيرة منها وخلخلة التفوق السـكاني الإسـلامي فـي الجمهورية، والقضاء على الثقافة والآثار الإسـلامية فيهـا، وهذا كله بموافقة وصمت المجتمع الدولي! الذي يدعي أنـه يحمي الأقليات ويرفض تدمير الهوية الثقافية لأي مجموعـة سكانية في أي مكان من العالم!

* * * *

ولكن أين جيش المسلمين في البوسنة والهرسك من كـل ذلك ولماذا لا يستطيع الصمود؟ وفي الحقيقة فـإن القـوات المسلحة في البوسنة والهرسك بلا إمكانيات تقريبا، ذلـك أن كل السلاح الذي كان مملوكًا للجيش اليوغسلافي السابق وقع كله في يد الصرب، وهو جيش كان يعد الرابع في العالم، أي أن هناك جيشًا صربيا قويا في مواجهة جمهوريـة البوسـنة

والهرسك الوحيدة التي بلا جيش قوي بل جيش حديث التكوين يتكون من ١٥ ألفًا من المقاتلين المتطوعين لا يملكون سوى ١٩ دبابة فقط، وبالتالي فإن هناك خللاً كبيرا في ميزان القوى لصالح الصرب، والأمر أشبه بجيش قوي يقاتل أناسا عزل من السلاح، ومع ذلك، ورغم ذلك، فإن مقاتلي البوسنة والهرسك يبلون بلاء حسنًا بل ويحصلون على سلاحهم وذخيرتهم من الغنائم من خلال المعارك التي يخوضونها ضد القوات الصربية، ومن العجيب أنه رغم الحاجة الماسة للسلاح التي تبديها قوات البوسنة فإن العرب والمسلمين لا يعطونهم شيئًا اللهم إلا بعض المعونات من الغذاء والملابس، وهم يحتاجون أساسا إلى السلاح للدفاع عن أنفسهم.

* * * *

أبعاد المؤامرة:

لكل أهدافه في صراع البوسنة والهرسك، فالمسلمون يريدون الحفاظ على جمهوريتهم الوليدة، والدفاع عن حدودها الشرعية أما الصرب، فهم يريدون إقامة جمهورية صربيا الكبرى على حساب أراضي المسلمين في البوسنة والهرسك،

أما الكروات فقد وقعوا اتفاقًا غير مكتوب مع الصـرب يـتم بمقتضاه اقتسام أراضي البوسـنة الهرسـك بـين الصـرب والكروات على حساب المسلمين، يقول مستشـار الرئاسـة البوسنية خير الدين سمون في تصريح له بجريـدة "الحيـاة" عدد ١٧/ ٧/ ١٩٩٢: "كل شيء ممكن هذه الأيام بين دولتي الصرب وكرواتيا ضد البوسنة، فـنحن نعلـم أن الرئيسـين الصربي سلوبودان ميلوسيفتيش والرواتي فرانيو تودجمـان اجتمعا قبل عام ونصف العام في منطقـة كـارجور جوفـا الحدودية بين الصرب والكروات وحصل بينهما اتفاق غيـر مكتوب لتقاسم المصالح" ويضيف مستشار الرئاسة البوسنية: "نحن نعلم أيضا أن العناصر الكرواتية المتطرفة في البوسنة والهرسك تعمل ضد مصالح البوسنة، ولا يسـتغرب وجـود أطراف دولية أوروبية ضالعة في هذه المؤامرة التي تعـود جذورها إلى بداية القرن الحالي".

إذن فالمؤامرة قديمة جديدة وتستهدف منـع قيـام كيـان إسلامي في أوروبا، ولأن المخطط واضح لكل من له عينين فإن كاتبا مثل الأستاذ سلامة أحمد سلامة، وهو ممن لا يمكن اتهامهم بالتطرف الإسلامي مثلاً كتب في أهـرام (١٦/ ٧/

١٩٩٢) يقول: "منذ عدة أسابيع ينشغل مجلس الأمن، والأمم المتحدة وأمينها العام، والدول الخمس الكبرى بمشكلة البحث عن أوراق ومستندات في أحد الأدراج بأحد المكاتـب فـي وزارة الزراعة العراقية، حول تسليح العراق، ويحدث هـذا بينما تجري تفاصيل المأساة الإنسانية والسياسـية والدوليـة على أرض جمهورية البوسنة والهرسك، تحت سـتار مـن الصمت والتواطؤ الذي تشارك فيه أوروبا وأمريكا، لتحويـل الصراع الدامي الذي يجري بشراسة غير مسبوقة من مشكلة اقتسام وتقطيع أوصال دولة مستقلة إلى مجرد شكل للإغاثة، ومن الواضح أن أوروبا وأمريكا لا تريدان أن تتـدخلا فـي الوقت الحاضر، أو أن يتخذ مجلس الأمن قـرارات تتعلـق بطبيعة الأزمة من جوانبها السياسـية، إلا بعـد أن تكـون الجيوش الصربية قد ثبتت أقدامها وانتهت من تهجير وتفريغ المناطق المسلمة التي تنوي ضمها إلى جمهوريـة الصـرب الجديدة وبعد أن تكون منطقة الأقلية الكرواتية في البوسنة قد اندمجت نهائيا في كرواتيا المستقلة ونشأ أمر واقـع جديـد، والذي يجري حاليا هو مهزلة دولية بكل المقاييس مـا كـان ينبغي أن نشارك فيها لأن مهمة قوات الأمم المتحدة هناك لا

تزيد على تأمين وصول الإغاثة إلى المحاصرين، وأما السفن الحربية التابعة لأمريكـا ولـدول غـرب أوروبـا وحلـف الأطلنطي فإنها لا تفعل شيئًا أكثر من مراقبة الشواطئ دون أن يكون لها حق منع السفن من إنزال شحناتها.

* * * *

إذن فالمؤامرة قديمة وجديدة، بدأت مع ضـعف الدولـة العثمانية وتكررت مع انهيار يوغسلافيا والهدف هو القضاء على الوجود الإسلامي، وأطراف المؤامرة هم الصرب الذين يمثلون الأداة، والكروات باتفاقهم مع الصرب علـى تقسـيم البوسنة بينهما، وإسرائيل التي تسلح الصرب، والغرب الذي يسكت على المذبحة بانتظار القضاء على الوجود الإسـلامي في البوسنة والهرسك.

يقول أيوب جانيتش نائـب رئـيس جمهوريـة البوسـنة والهرسك في تصريح خاص للأهرام عـدد ١٨/ ٧/ ١٩٩٢: "إن التحركات العسكرية الأوروبية والأمريكية حول الصرب وما يحدث في مطـار سـراييفو هـي عمليـة مـن قبيـل الاستعراض الدولي فقط، وقال: إن المعونات التـي تصـل

سراييفو المحاصرة لا تزيـد علـى ٥ % مـن احتياجـات المدينة".

وفي تصريح استفزازي للورد كارينجتون نشرته صحيفة الأهرام في عدد ٢٥/ ٧/ ١٩٩٢) قال: "إنه من الضروري ترك أطراف الأزمة حتى ينهكهم القتال" أي ترك الصـرب يذبحون المسلمين ويقطعون أوصـال جمهوريـة البوسـنة والهرسك.

ويصف الأستاذ نبيل شبيب - في تحليل إخباري لصحيفة "المسلمون" عدد ٢٤ يوليو ١٩٩٢ - إن الوضع عبارة عـن مسألة مستمرة، وتمثيلية دولية مسـتمرة أيضـا، وقـال: إن الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا المتنافسـتان فـي كـل المجالات متفقتان في مجال البوسنة والهرسك وذلـك أنهمـا يريا ألا يتضمن أي قرار لمجلس الأمن على التلويح بالتدخل العسكري المباشر أو غير المباشر، ويرى الأستاذ نبيل شبيب أن المقاطعة الدولية البحريـة لا قيمـة لهـا لأن الصـرب يحصلون على ما يريدون من خلال الحـدود البريـة مـع رومانيا وروسيا واليونان ، وأن قرارات تحريك الأسـاطيل مظاهرة سياسية استعراضية فقط!.

ويصل الأمر إلى حد المأساة عندما تغلق الدول - مثل إيطاليا وألمانيا والنمسا والمجر وغيرها - حدودها في وجه اللاجئين، أي تسليمهم عمليا للذبح وتسليم أولادهم إلى المؤسسات الكنسية التي نشطت لالتقاط الأطفال الذين لن يعرفوا أنهم من أصل إسلامي عندما يكبرون حيث سوف يتربون في جو كنسي مسيحي يحولهم رغم أنفهم إلى مسيحيين!!

والرئيس الأمريكي "بوش" يصرح قائلاً، بأنه لم يتخذ قرارا بإعادة انتشار القوات البحرية الأمريكية وأن السفينتين التابعتين للأسطول السادس الأمريكي اللتين أرسلتا إلى الأدرياتيكي تشكلان جزءا من فريقين بحريين في المتوسط يبحران من وقت لآخر إلى الأدرياتيكي".

أي رسالة إلى الصرب، لا تنزعجوا من التحركات البحرية الأمريكية، فما هي إلى مسرحية، واستمروا في ذبح المسلمين وتقطيع أوصال البوسنة والهرسك، والرسالة نفسها قالها ميتران - الذي زار سراييفو - فقد ذكر الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران في مؤتمر صحفي في ختام قمة مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا: "ليس في ذهن فرنسا

إرسال قوات من أجل القتال في الميـدان، لكنهـا مسـتعدة لإرسال قوات لحماية المساعدات الإنسانية" وقال: "إن أحدا لم يطلب من فرنسا إرسال قوات مقاتلة، ولو طلب منا ذلك لقلنا أن هناك وسائل أخرى تبدو لنا أفضل".

* * * *

ليست البوسنة وحدها:

ليست البوسنة والهرسك وحدها المقصودة، ولكنه الإسلام في أوروبا كلها وفي المناطق ذات الكثافـة الإسـلامية فـي البلقان خصوصا، والمسلمون في البلقان من أصل أوروبـي، وليسوا أتراكًا كما يدعى الإعلام الغربي، بـل هـم سـكان أصليون في المنطقة اختاروا الإسلام دينًا لهم منذ عدة قرون. وإذا كان المسلمون في الأندلس، من كان منهم مـن أصـل عربي أو من أصل أندلسي قد تمت إبادتهم وطـردهم فـإن الأمر يتكرر اليوم في البلقان، والإسلام موجـود فـي كـل مناطق البلقان في ألبانيا وكوسـوفو والبوسـنة والهرسـك، وكذلك في صربيا وكرواتيا وسـلوفينيا ومقـدونيا والجبـل الأسود بل وفي المجر ورومانيا وبلغاريا، وهنـاك تـداخل عرقي وديني شديدين في هذه المناطق، فالمسلمون يشـكلون

٨٠ % في ألبانيا، و٥٤ % في البوسنة والهرسك، و٩٣ % في كوسوفو و ٤٠ % في مقدونيا، وهناك ٢٠ ألف مسلم في سلوفينيا، وهناك ربع مليون مسلم بين صربيا والجبل الأسود، والمسلمون عموما في يوغسلافيا الاتحادية سابقًا يبلغـون ٦ ملايين مسلم.

وآخر فصول مخطط الإبادة، القديم الجديـد، هـو إلغـاء الهوية الثقافة للمسلمين في بلغاريا، وهو ترك مسلمي ألبانيـا فريسة للفقر والجهل مما يجعلهم عرضة للنشاط التبشـيري الذي يعمل الآن على قدم وساق في ألبانيا، وكـذلك عمليـة الإبادة السكانية والثقافية التي يتعرض لهـا المسـلمون فـي البوسنة والهرسك، ويمكن أن نتوقع في غضون شهور قليلة أن يتكرر ما يحدث الآن في البوسنة والهرسك، في جمهورية كوسوفو وهي جمهورية إسلامية يبلغ عدد سكانها ٢ مليـون نسمة وتقع بمحاذاة الحدود مع ألبانيـا غربـا، وجمهوريـة مقدونيا في الشمال الغربي، ويبلغ عدد المسلمين فيها حوالي ٩٣ % وكانت هذه الجمهورية تابعة للاتحاد اليوغسـلافي، ولكنها أعلنت استقلالها حديثًا بعد إجراء استفتاء على ذلـك، ومعظم أصلها من أصل ألباني، وكانت كوسـوفو مسـرحا

لصراع طويل بين المسلمين والصرب منذ عدة قرون، حيث دارت في الإقليم المعركة الشهيرة بين الصرب والمسلمين في سنة ١٣٨٩ م، ثم خضعت صربيا للدولة العثمانية، وبعد الحرب العالمية الأولى قررت دول الحلفاء المنتصرة ضم إقليم كوسوفو إلى صربيا مكافأة لها على حربها ضد الأتراك، ثم حاولت صربيا تهجير سكان الإقليم من أصل ألباني، وإحلالهم بصرب، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية دخلت كوسوفو ضمن الاتحاد اليوغسلافي بقيادة تيتو، بادة الثقافة الإسلامية فيها، ومع انهيار الشيوعية وتفكك يوغسلافيا استعاد أهل كوسوفو هويتهم الدينية والحضارية والسياسية وأعلنوا استقلالهم عن صربيا وإقامة جمهورية كوسوفو المستقلة، وتدخل الجيش الصربي على الفور فأوقع العديد من المذابح في شعب كوسوفو، ولكن الوضع متجمد حاليا في كوسوفو بانتظار ما يسفر عنه الصراع في البوسنة والهرسك، والجيش الصربي من جهته يعد العدة لإبادة شعب كوسوفو حيث أخذت القوات الصربية مواقعها على الروابي والتلال المحيطة باثنين وعشرين مدينة في كوسوفو واحتلت أسطح المباني والمنازل العالية التي تحكم الشوارع وتسهل

عملية القنص، ويمكن أن نتوقع مصيرا أشد فظاعة ينتظـر كوسوفو، لأن صربيا تدعي ملكية كل أراضـي كوسـوفو، وأنها أراض مقدسة بالنسبة لها يجـب أن تظـل خاضـعة لنفوذها، وتتكون كوسوفو من سهلين "كوسـوفو" وسـنجق، وتغطي مساحة قدرها ١٠٨٨٧ كيلومترا مربعا، وقد دخـل أهلها في الإسلام، منذ سـبعة قـرون، والاسـم الصـحيح لكوسوفو هو "كوسمت" بمعنى "لؤلؤة" باللغة الألبانية.

وكان المسئولون الصربيون قد أخرجوا جثمـان الأميـر (لازار) آخر حكام دولة الصرب القديمة وطـافوا بـه كـل أرجاء المناطق في البوسنة والهرسك وكوسوفو، في محاولة للتذكير بأن الصرب كانت لهم دولة اندثرت بهزيمتها الساحقة على يد العثمانيين سنة ١٣٨٩، وأنه يجب الانتقـام وإعـادة أمجاد دولة الصرب، أي إيقاع مذبحة بالمسلمين في البوسنة والهرسك ثم في كوسوفو.

فهل نتفرج على المأساة، أم نفعل شيئًا من أجل مسـلمي البوسنة والهرسك وكوسوفو. بل من أجل أنفسنا؟!

* * * *